البلاغ المبين

تأليف

العلّامة المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي
(١٢٨٢ - ١٣٥٢ هـ)

تصحيح وإعداد

السيّد محمّد علي الحكيم



البلاغ المبين

تأليف

العلّامة المجاهد

الشيخ محمّد جواد البلاغي

(١٢٨٢ ـ ١٣٥٢ هـ)

تصحيح وإعداد

السيّد محمّد علي الحكيم

دار المحجّة البيضاء



الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail: almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

الإهداء

إلىٰ بابِ الله الذي منه يؤتىٰ..

إلىٰ السببِ المتّصل بين الأرض والسماء..

إلىٰ مهديّ الأُمم..

الإمام صاحب الزمان عليه السلام..

راجياً نظرة عطف ولطف ورأفة ودعاء..

لأقلّ مواليك وأضعفهم

محمّد علي

مقـدِّمة الإعداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة والسلام على خير خلقه ، وأشرف بريّته ، محمَّد وآله الطيّبين الطاهرين ، ولا سيّما بقيّة الله في الأرضين ، الإمام الحجّة المهديّ المنتظر ، عجّل الله تعالى فرجه ونصره .

أمّا بعـد . .

فهذا أثر آخر من آثار العلّامة الحجّة المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي قدس سره[1] قد وفّقني الله تعالى لإحيائه ، وما

---

(١) لم أذكر في هذه العجالة من ترجمته إلّا قبساً من نور حياته اللامع ، تلك الحياة التي قضاها في تحصيل العلم والتدريس والجهاد في سبيل رفعة الدين والمذهب الحقّ ، متنقّلاً ما بين النجف الأشرف وسامرّاء والكاظمية ، قارع فيها الاستعمار الإنكليزي ، وناظر اليهود والنصارى ، وحاجج الفرق الضالّة . .

فهو بحقّ أحد الأنوار المضيئة التي أنارت الدرب . . وسموّ منزلته ورفعة مكانته رحمه الله أشهر من نار على علم . .

وعذيري في ذلك أنّ ترجمته دانية لمن رام قطافها ، سواء في مظانّها من كتب التراجم ، أو ممّا كتبتُه في مقدّمات تحقيقي وإعدادي

لـ

ذلك إلّا من لطيف نعمه علَيَّ، وحُسن صنيعه بي.

وقد اتّبع الشيخ البلاغي قدس سره في كتابه هذا أُسلوباً جديداً لإيصال مفهوم العبودية لله تعالىٰ والغاية من خلق البشر والمسؤوليّات المترتّبة عليهم، فجاء علىٰ نسق الحواريّات كما هو الحال في الأدب الروائي..

ذلك الأُسلوب الذي يستهوي جيل الشباب ويغريهم بمتابعة القراءة في عصرٍ ثقل فيه علىٰ النفوس قراءة الكتب ومطالعتها للاستزادة من شتّىٰ حقول العلم والمعرفة والفكر، وسهل عليها الركض وراء ما لا ينفعها ولا يغنيها، حتّىٰ غدت البشرية تموج في فراغ فكري أوردها المهالك..

﴿ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا وآتّقوا لفتحنا عليهم بركات

لبعض مصنّفاته المنشورة سابقاً، كما ترجم له ـ كذلك ـ كلّ مَن حقّق له بما لا مزيد عليه، ولو أردنا الخوض في ذلك لخرج بنا المقام عن هدف هذه الرسالة؛ فانظر ترجمته المفصّلة في:

أعيان الشيعة ٤/٢٥٥ ـ ٢٦٢، شعراء الغريّ ٢/٤٣٦ ـ ٤٥٨، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ١/٣٢٣ ـ ٣٢٦، الكنىٰ والألقاب ٢/٩٤ ـ ٩٥، مقدّمة «الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ» ١/٦ ـ ٢٠، معارف الرجال ١/١٩٦ ـ ٢٠٠، ريحانة الأدب ١/١٧٩، ماضي النجف وحاضرها ٢/٦١ ـ ٦٦ رقم ٣، مقدّمة «الردّ علىٰ الوهّابية»: ٨ ـ ٣٢، مقدّمة «نصائح الهدىٰ»: ٥ ـ ٢٧، مجلّة «رسالة القرآن»/ العدد ١٠/١٤١٣: ٧١ ـ ١٠٤، وغيرها.

من السماء والأرض﴾[١].

وفي الحوار الدائر بين شخصيّتَي الكتاب، يضرب الشيخ البلاغي قدّس سرّه الأمثال، ويورد الحجج العقلية لإثبات الخالق الصانع سبحانه، ووجوب عبادته وإطاعة أوامره.

وقد ذكره له الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمه الله في كتابه وقال عنه: «البلاغ المبين: في إثبات الصانع تعالىٰ بالطرز الحديث المأنوس للأذهان الصافية... وهو كسائر تصانيفه باكورةٌ في مواضيعه»[٢].

علماً بأنّ من الأمثلة التي أوردها الشيخ البلاغي قدّس سرّه التي عُدّت يوم تأليف الكتاب ونشره ـ قبل أكثر من ثمانين عاماً ـ من المخترعات الجديدة والمستحدَثات التي ينبغي إعمال الفكر فيها واستلهام العبر منها.. في حين أنّها تُعدّ اليوم من المألوفات التي لا يُلتفت إليها..

كما أنّه قدّس سرّه ضرب أمثلةً لم يكن يقصد بها الانتقاص أو الإهانة لقوم أو ملّة، وإنّما جرت منه علىٰ مجرىٰ الحكايات.

فتبرز هنا منزلة هذا الكتاب الذي ينبّه العقل الإنساني لإعمال فكره ونظره في كلّ ما حوله، قديمه وجديده، للوصول

---

(١) سورة الأعراف ٧: ٩٦.

(٢) الذريعة ٣/ ١٤٠ رقم ٤٨١.

إلىٰ الغاية المنشودة .

هذا الكتاب والعمل فيه :

كان قد طُبع هذا الكتاب لأوّل مرّة في مطبعة الآداب ببغداد سنة ١٣٤٨ هـ ، في ٤٧ صفحة ، بقياس ١٧ × ١٠ سم ، بتصحيح السيّد عبد المطّلب الحسيني الهاشمي ، صاحب مجلّة «الهدىٰ» التي كانت تصدر في مدينة العِمارة العراقية .

فقمت بتقطيع نصّ الكتاب وتوزيعه بالاستفادة من علامات الترقيم الحديثة ، كيما يناسب أُسلوب هذا العصر .

وأثبتُّ في الهامش التعليقات الضرورية ، توضيحاً وشرحاً لبعض مطالب الكتاب وكلمات المتن ، وأصلحت الأغلاط الإملائية والطباعية ، ولم أُشر إلىٰ ذلك في الهامش .

فطُبع بهذا الإعداد الجديد ضمن كتاب «أربع رسائل» ، وصدر عن مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، في بيروت سنة ١٤٢٦ هـ .

وأعاد مكتب الإعلام الإسلامي في قم طبعه ضمن «موسوعة العلّامة البلاغي» ، وصدر سنة ١٤٢٨ هـ ، وقد تصرّفوا في هامشين من الصفحتين ٢٠ و ٢١ دون إذن منّي ، أو في الأقلّ إعلامي بذلك ! !

فصحّحتُ ما وقع في ما سبق من أخطاء، فكانت هذه الطبعة المصحّحة المستقلّة التي بين يدي القارئ الكريم.

شكر لا بُدّ منه:

هو إسداؤه لكلّ مَن ساهم في إحياء هذا الأثر النفيس، ولا سيّما مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ فرع دمشق؛ وسماحة القاضي الفاضل حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد كنعان؛ المستشار في المحكمة الشرعية الجعفرية ببيروت..

نسأل الله تعالىٰ التوفيق للعاملين علىٰ إحياء أمر أهل بيت العصمة عليهم السلام وبثّ علومهم ونشر معارفهم.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلّىٰ الله علىٰ سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجبين، وسلّم تسليماً كثيراً.

ذكرىٰ مولد أمير المؤمنين عليه السلام

١٣ رجب ١٤٣٠

دمشق ـ السيّدة زينب عليها السلام

محمّد علي الحكيم

بسـمه تعـالىٰ

كلمـة الناشـر

الحمد لله ، والصلاة علىٰ نبيّه وآله الكرام .

وبعـد . .

فقد ألّف القدماء طريقة الجدل الأُولىٰ في محاوراتهم ومباحثهم ، فصاروا مقيّدين بها ، وأصبح النظر إلىٰ تحقّق أُصول المنطق ومبادئ النظريّات الفلسفية في البراهين العقلية لازم قبل المادّة التي عُيّنت غرضاً وأُخذت غاية . .

وهذا ما جعل مطالعة الكتب القديمة غير مألوفة لناشئة العصر الجديد ، وغير متّبعة في تحرّي الحقائق والبحث عن المواضيع .

أضف إلىٰ ذلك أنّ الاستدلالات الدينية والشواهد المجرّدة كانت تؤخذ بنظر الاعتبار ، وحتّىٰ في مقام المناظرة لإثبات أُصول الدين نفسه .

وهذا مسلك ربّما لا يطمئنّ إليه الباحثُ ، ولا يتجشّم صعوبة النظر فيه المحقّقُ .

وقد استمرّت هذه الطريقة مألوفة وحتّىٰ في رسائل المتأخِّرين !

أمّا الرسالة التي نضعها بين يدَي القرّاء الكرام الآن ، والتي نقدّمها كهدية نسدّ بها فراغ الوقت الذي تحتجب فيه «الهدىٰ» في عطلتها ، فحَرِيّة بأن تكون الأُولىٰ في بابها ، وجديرة بأن تُعدّ السابقة في وضعها ، وخليقة أن تعتبر خطّتها في البحث والنظر المجدِّدة .

ونظنّ أنّ القارئ الكريم سيجد في مطالعتها لذّة ، ومن تتبُّع مواضيعها فائدة ، لِما انطوت عليه فصولها من البحث الملذّ ، وجمعته من الفوائد الغزيرة ، مع ما اتّبعه المؤلّف فيها من الاعتماد علىٰ أدلّة العقل ، والاستشهاد بمظاهر الكون ومخترعات العصر الحديث ؛ فهي أنفس هديّة تُقدّم إلىٰ القرّاء الكرام ، وأحسن سلوة يُسدّ به فراغ العطلة . .

نمّقها يراع أحد النياقدة الأعلام من جهابذة كُتّاب النجف الأشرف ، وهو الذي ما كتب في موضوع إلّا وأعطاه حقّه ، وإنّما لم أُصرّح باسمه الشريف امتثالاً لأمره المطاع .

والله هو المستعان في كلّ قصد ، وإنّه وليّ التوفيق .

عبد المطّلب الحسيني الهاشمي

صاحب مجلّة «الهدىٰ»

البلاغ المبين

رسالة ترشد إلى معرفة الإله جل وعلا وتشير الى
الاخلاق والسعادة برزت بهذا الاسلوب
مجاراة للوقت ودعاية لعموم التلاميذ
ومن الله التوفيق
وهو المستعان

طبعت على نفقة ناشرها ومصححها

السيد عبدالمطلب الحسنى الهاشمى

﴿ صاحب مجلة الهدى ﴾

سنة ١٣٤٨ هجرية

مطبعة الآداب — بغداد

صورة الصفحة الأولى من كتاب «البلاغ المبين»

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد ، وهو المستعان ،

والصلاة والسلام علىٰ جميع أنبيائه ورسله ،

وخصوص خاتمهم ، وآله الطاهرين .

لسان حال .. وتخييل

عبـد الله : جمعتني مرحلة هذه النشأة مع مسافر لا يَعرفُ غايتَه .. وغير غريب من عاطفة الإنسانية وحبّ الخير للبشر وواجب الحقيقة ، أن تلجئني إلىٰ إدارة الكلام بيني وبينه في الشؤون النافعة .. لعلّما نستثمر من مخض الكلام زبدة ، ونجني من غراسه ثمراً ؛ فقلت له :

هل لك ميل إلىٰ المحادثة في ما يُرجىٰ نفعه ويُؤدّىٰ به واجب هذا السفر وهذه الصحبة ؟

رمزي : أجل ! وليكن الكلام في ما نقضي به الوقت وأنال به لـذّة !

عبـد الله : إنّ العقلاء من البشر يعملون أعمالهم ويتكلّمون بكلامهم لأجل أن تكون غراساً صالحاً للاستثمار في المستقبل ، في نظام الحياة ، ونيل الفضيلة في المعارف والأخلاق الفاضلة .

وأمّا ما لا غاية فيه إلّا اللـذّة الوقتية وتقضّي الوقت ، فإنّ العمر الشريف يذهب به ضياعاً .. وربّما تعدّىٰ عنه الخسران إلىٰ رذيلة الانحطاط والضرر الباهظ في المستقبل !

رمزي : ما علينا بكيت وكيت .. حدّثني بما يؤنسني من

التاريخ وأحوال البلدان.

عبد الله: من الممكن أن أُؤدّي واجب الحقيقة وأُؤانسك.

رمزي: يا صاحبي ما اسمك؟

عبد الله: اسمي عبد الله.

رمزي: أليس من العجيب أنّ الإنسان يُلقي نفسه في أسر العبودية وقيود المحكومية؟!

عبد الله: هل تسمح بأن نخوض في هذا الشأن.. وتُقْبِل علىٰ كلامي بسمعك وشعورك؟

رمزي: لا يهون علَيَّ أن أُكدِّر صفاء لذّاتي، وأُهدّد حرّيّتي بما تحاول أن تجعلني به تحت نير عبودية، وأغلال طاعة، وقيودِ: افعل هذا، لا تفعل هذا.. حدِّثني بما يؤنسني من التاريخ وأحوال البلدان.

عبد الله: نعم.. ومن الممكن أن لا يكون الحديث أجنبيّاً عمّا يجب علَيَّ للحقيقة والإنسانية.

كان أهل البصرة يشترون كثيراً من العبيد والإماء من سودان إفريقا، ويجعلونهم عَمَلةً في بساتينهم وسفنهم النهرية والبحرية وفي محالّ تجارتهم، ويزوّجون العبيد بالإماء محافظةً علىٰ عفّتهم، فيتناسلون ويكونون ذوي بيوت وأولاد وإدارات،

وكلّهم يأكلون من نفقات مواليهم ، ويتدرّجون بالتعليم والتربية قليلاً قليلاً في الحضارة وآداب المدنيـة .

رمزي : إنّي قرأت في المدرسة جغرافية البصرة الطبيعية ، فأتمِم حديثك في جغرافيتها الاقتصادية ؟

عبـد الله : وقد كان في بساتين شخصٍ من أهـل البـصرة وسفنه ومواقع تجارته جماعة كثيرة من هؤلاء السـودان ، ومـن جملتهم جماعة ممّن نشأ في وطـنه مـن بـلاد السـودان وآنَس بعاداتهم الوحشية ، وكلّ واحد من هؤلاء يتألّم كثيراً ويشكو إلىٰ أبناء جلدته من قيود عادات البصرة ، من نحو تأديب الموالي ، وتعليمهم للعبـيد آداب الحضارة ، ومن تعلّم الأعمال والأشغال ، والاشتغال بتحصيل الأموال ، وترتيب إدارة البيت ، والنـظر فـي العواقب ، ومداراة العيال والأولاد ، وتربية الأولاد وتأديبهم . .

وكثيراً ما كانت هـذه الجـماعة يـتمنّون الفـرار مـن هـذه الأحوال المدنية التي يرونها قيوداً باهظة ، فيتلهّفون علىٰ الرجوع إلىٰ وحشية إفـريقا ، ويـدور ذلك فـي حـديثهم مـع أصـحابهم السودان المتولّدين في البصـرة .

رمزي : وما هـي وضـعية السـودان وحـالهم فـي بـراري إفريقا ؟

عبـد الله : قبائل البمباس والزنج في براري إفريقا ، كـلّهم

رجالاً ونساءً، عراة ليس عليهم لباس ولا ساتر أصلاً!

نعم، المرأة منهم في أيّام حيضها تضع علىٰ عورتها ورقة من بعض الشجر علامة علىٰ أنّها حائض.

وإنّ الرئيس منهم لا يزيد علىٰ أن يتوشّح بوشاح من قماش أبيض لا يزيد عرضه علىٰ أربعة أصابع أو خمسة، يجري مجرىٰ حمائل السيف؛ لكي يكون وساماً للرئاسة.

وربّما يكون بعضهم خادماً عند النزلاء في جزيرة زنجبار، فيلجئه المخدوم إلىٰ ستر عورته فيتّزر بمئزر، فإذا سخط علىٰ مخدومه، وعزم وجزم علىٰ مفارقته والرجوع إلىٰ أرضه ووحشيّته، كانت العلامة علىٰ إصراره علىٰ المفارقة النهائية أن يحلّ المئزر وينزعه من وسطه، ويطويه ويرمي به في وجه مخدومه!!

ولهم في طرف النهار مسارح رقص، يجتمعون فيها رجالاً ونساءً، ويسمّون هذه المراقص: «هيوة»، ولهم مسكر مخصوص يسمّونه: «بوزة»، وبحالة السكر وطرب الهيوة ـ وهم عراة علىٰ العادة ـ يرقص نساؤهم ورجالهم معاً!

ومن أحوال رقصهم، أن يلصق كلٌّ منهم عجيزته بعجيزة الآخر، سواءً كان رجلاً أم امرأة!

ومن شدّة السكر والطرب والرقص الماعزي السخالي تزبد

أفواههم ، فيعلو من ذلك على شفاههم ووجوههم السود ما يكون له منظر غريب مضحك !

رمزي : إنّ هذا لتوحّش غريب !

عبد الله : يا للعجب ! أَوَأنت تقول ذلك ؟ ! !

رمزي : وماذا كان من حكاية سودان البصرة ؟

عبد الله : ولم يزل أُولئك السودان الناشئون في إفريقا يحاورون أصحابهم من السودان الناشئين في البصرة ، ويحسّنون لهم أحوال بلادهم في إفريقا وأوضاع السودان هناك ، حتّىٰ حصلوا علىٰ موافقتهم في الرأي ، وآستقرّ رأيهم جميعاً علىٰ الفرار . .

فعيّنوا لهم سفينة بحرية من سفن مولاهم ، وخصّصوا واحداً منهم ربّاناً للسفينة وبعضهم نواتي (ملّاحين) ؛ لكي يصلوا بأجمعهم من طريق البحر سريعاً إلىٰ براري السودان من إفريقا . .

وبعد هزيع من الليل خرجوا جميعاً ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، من غير استعداد للسفر ولا زاد ، ودخلوا السفينة وقد شربوا من مسكرهم (البوزة) حتّىٰ أخذهم السكر . . وفي خيالات السكر رفعوا شراع السفينة من دون أن يحلّوا رباطتها ويقلعوا مراسيها وأناجرها .

هـذا، وخيال السكر والحمق السوداني يـخيّلان لهـم أنّ السفينة تجري بسرعة فائقة، مع أنّها واقفة راسية لا تزول مـن مقرّها إلّا بمقدار ما تهزّها الأمواج العادية.

وبعد سويعة سألوا الربّان قائلين: أيـن وصـل بـنا سيرنا السريع ؟

فقال: قد تجاوزنا الفاو[1] ودخلنا البحـر.

فعند ذلك صفّـقوا تصفيقاً حادّاً، ونزعوا بأجمعهم ـ رجالاً ونساءً ـ كلّ ما عليهم من اللباس ورموا به في الماء، وصـاروا بأجمعهم عراة بلا ساتر للعورة، وآشـتغل رجـالهم ونسـاؤهم بالرقص والنشـيد السوداني.

رمزي: وماذا كان نشـيدهم ؟ ألا تترجمه لي بالعربيـة ؟!

عبـد الله: نَشـيدُهم: نمضي بحرّيّـتنا أحراراً.. وليس لنـا مولىٰ.. كلّ واحد حرّ.. برئنا من الملابس.. من هـو المـولىٰ ومن يكون ؟! ما هي البصرة ؟! ما هي الدار والغرف ؟! ما هي البسـتان ؟! ما هي التجارة ؟! مـا هـي الأعـمال والصـناعات ؟! نحن غزلان الفلاة.. لتحيا الهيوة.. لتحيا البوزة!

رمزي: وماذا صار من أمرهم ؟

---

(١) الفاو: مدينة في أقصىٰ جنوب العراق، تقع علىٰ مصبّ شطّ العرب بالخليج العـربي.

عبد الله : وإذ كانت الريح تلاعب الشراع من سفينتهم الواقفة ، أخذهم الأُنس والطرب ، وخَيّل لهم السكرُ أنّ السفينة تسير بهم كالبرق الخاطف ! فسألوا الربّان قائلين : أين بلغ بنا هذا السير السريع السعيد ؟

فنظر الربّان بخيال السكر إلىٰ دور العَشّار[١] والنخيل ، فقال : ما لكم ؟ ! ألا تنظرون ذات اليمين إلىٰ دور البحرين ونخيلها ؟ !

ثمّ مضت سويعة ، فسألوا الربّان قائلين : أين بلغ بنا سيرنا السريع المبارك ؟

فنظر ذات اليسار ، فرأىٰ شبح الجانب الشرقي المقابل للعَشّار ، فقال : قد قابلنا بندر عبّاس[٢] ، وقارَبْنا بوغاز هرمز[٣] !

وبعد ساعة غلب النعاس وخيالات السكر علىٰ عينَي الربّان فصاح بالنواتي : غَيِّروا وضع الشراع ، غَيِّروا وضع الشراع سريعاً ، لكي نبعد عن مَسقط ، فإنّ في قربنا إلىٰ مَسقط مخاطرة كبيرة ، ولعلّنا قبل الصبح بهذا السير السريع السعيد نجاوز باب المندب إلىٰ سواحل إفريقا فنستريح من بحر العرب وأخطاره . .

---

(١) العَشّار : حيٌّ من أكبر أحياء البصرة .

(٢) بندر عبّاس : من أكبر موانئ إيران ، يقع إلىٰ الجنوب الغربي منها علىٰ شواطئ الخليج العربي .

(٣) هو مضيق هرمز .

صفِّقوا صفِّقوا.. ارقصوا ارقصوا!

فلمّا أصبح الصباح، جاء أهل العَشّار إلىٰ الشاطئ فرأوا سفينة راسية واقفة مربوطة، وشراعها مرفوع يخفق، وهي مملوءة من أشباه الماعز والسخال، من السودان العراة، وهم مشغولون بالتصفيق والرقص والنشيد بأشنع منظر مضحك!

فجاء خدّام مولاهم، فساقوا أُولئك السود بأجمعهم كقطيع الماعز، علىٰ تلك الحالة الشنيعة المضحكة إلىٰ مولاهم ونكال الجزاء!

رمزي، صار يضحك كثيراً ويقول: يا للعجب من وحشية هؤلاء وعدم شعورهم!

عبد الله - يقول له[1] -:

عجباً!! ينظر في مرآته ثمّ لا يعرف منها صورته!!

رمزي: قد فرغنا من هذا الحديث المضحك؛ فقل لي ما معنىٰ تسميتك بعبد الله؟

عبد الله: إنّي منزعج من أحوال بعض الأشخاص، بحيث لم يُبْقِ لي الانزعاج حالاً وفِكراً لردّ جوابك.. وسأذكر لك حال هذا الشخص لكي تعتبر وتعرف أنّه إلىٰ أيّ حدٍّ يبلغ اتّباع الهوىٰ والضلال والشقاء وعدم الحياء!

---

(١) أي يقول له في نفسه، ولم يُبْدِه له.

رمزي: نعم.. إنّ حال بعض الناس في الغيّ لا يكاد يوزن بميزان، ولا يقف في السوء على حدٍّ محدود؛ فاذكر لي حال هذا الشخص الذي أزعجك.

عبد الله: هذا ولد يعيش بالرغد والرفاهية في نعمة أبيه الرؤوف، وأبوه ذو علم وكمال فائقَين، ومن أجل كماله ورأفته وحبّه للخير هيّأ لولده جميع أسباب الرقيّ والسعادة والتربية الصالحة، فأعدّ لولده معلِّمين كاملين ومرشِدين صالحين، وجعل له صاحباً ملازماً ناصحاً عاقلاً مشفقاً خبيراً، وعرّفه جميع أسباب الترقّي والانحطاط والسعادة والشقاء..

وأكملَ ذلك بكلّ ما يبعث على أعمال الخير والصلاح من الترغيب والوعد الصادق بالجزاء، وبكلّ ما يزجر عن أعمال السوء من الإرهاب والوعيد والإنذار.

وهذا الولد لا استغناء له عن نعمة أبيه في حال من الأحوال.. وهذا الأب لا حاجة له إلى هذا الولد بوجه من الوجوه.. ولم يكن له في تكميل الولد وتهذيبه حاجة ولا غرض إلّا حبّه للخير والصلاح والكمال وترقّي الولد في معارج السعادة.. والولد يعرف هذا كلّه.. فإنّه أمر لا تستره الغباوة..

ولكنّ هذا الولد الشقيّ لا يزال يقابل هذا الأب الكامل

المحسن الرؤوف بأنواع أعمال السوء والفحشاء ، وبالأخلاق الرذيلة بتمام الصلافة وعدم الحياء . .

ومن الاتّفاق أنّي رأيت هذا الولد مشغولاً ـ بمرأىً ومسمع ومحضر من الأب ـ بأعمال الشرّ والقبائح والفساد والأخلاق القبيحة ! . .

فقلت للولد : يا للعجب ! ! حتّىٰ متىٰ تتمادىٰ في هذا الغيّ ؟ ! أما تستحي من هذا الأب الجليل الكامل ، وليّ نعمتك والرؤوف بك ، ولا تخاف من غضبه ونكاله وأنت تعمل بمحضره ومرآه كلًّ ما تريد من الأعمال الرديئة الذميمة من دون حياء ولا مبالاة ؟ ! !

فقال لي : لا أرىٰ لي أباً !

فقلت له : ليس بينك وبينه مسافة بعيدة ، ولا حائل ، ولا ظلام ، وها هي الشمس مشرقة ، فكيف لا ترىٰ أباك ؟ !

فقال : لا أراه أصلاً ورأساً ! وإنّ الشمس إلىٰ الآن لم تظهر من الأُفق !

فقلت له : ها هي الشمس مشرقةٌ في وسط السماء ، وليس بينك وبينها حاجب أو غيم !

فقال : لا أرىٰ شمساً أصلاً !

فتخيّلت من كلامه هذا أنّه قد فاجأه العمىٰ فعميت عيناه

دفعةً واحدة! فأردت أن أمتحنه وأستعلم الحال، فقلت له: إنّ معي مكتوباً ضئيل الكتابة جدّاً فهل تقدر علىٰ قراءته؟

فقال: هل في قراءة الكتابة عجب؟!

قلت: هل معك نظّارة مكبّرة؟ فإنّ معي خاتماً ضئيل الكتابة جدّاً.

فأخذه وقرأه من دون نظّارة! وأجريت معه من هذا القبيل امتحانات كثيرة، وهو في جميع ذلك يبصر إبصاراً حسناً!

وقال: هل عندك فوق هذا ممّا تمتحن به بصري؟! لماذا لا أُبصر أمثال هذه؟! والحال أنّ عينَيَّ صحيحتان قويّتان، والجوّ صافٍ منير، والشمس مشرقة في وسط السماء قريب الهاجِرة[1]!

فقلت له: إذاً كيف قلت قبل سويعة: إنّي لا أرىٰ لي أباً، ولا أرىٰ شمساً؟!

فقال: دعْ عنك هذه الأقاويل التي تريد أن تكدّر بها صفاء لذّاتي وحرّيّتي في شهواتي.. أنا ليس لي أب! خرجت من ثقب الجدار! اتركني لحالي لكي أنال لذّاتي براحة فكر، من دون تصوّر تهديد وعراقيل مكدّرة لعيش الأهواء.

---

(١) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ؛ أنظر: لسان العرب ١٥ / ٣٤ مادّة «هجر».

رمزي : يا للعجب لهذا الإنسان الساقط الذي لا حسّ له ولا شعور ، ولا شرف إنسانية ولا حياء .

عبـد الله :

عــجباً !! يـنـظر فـي مـرآتـه ثمّ لا يعرف منها صـورته !!

رمزي : إنّي أسألك سؤالاً .. وأنت تـلهيني وتـحيد عـن جوابي ، وتحكي لي قصّة إنسان ساقط ، عديم الشعور والشرف والوجدان .. قل لي ما معنىٰ تسميتك بعبـد الله ؟ !

عبـد الله : ما ألهيتُك ولا حِدْت عن جوابك ، وما خرجت عن مقام الجواب ، ولكـنّي أُكـرّر قولي ويا للأسف :

عــجباً !! يـنـظر فـي مـرآتـه ثمّ لا يعرف منها صـورته !!

رمزي : لا تتكلّم بالألغاز حياداً عن الجواب .. أجبني عن سؤالي بالصراحة !

عبـد الله : قبل مئتَي سنة ، هل كـنّا أنا وأنت موجودين ؟ !

وهذه النخيل والأشجار والحبوب ، التي نأكل منها طعاماً شهيّـاً وثماراً جَنِيّـة ، هل كانت موجودة ؟ !

وهذا الصوف والحرير والقطن ، التي اتّخذنا منها لباسـنا ، هل كانت موجودة ؟ !

رمزي : لماذا تقول : قبل مـئتَي سـنة ؟ ! كـلّ هـذا الذي ذكرتَ لم يكن موجوداً قبل مئة سـنة .

عبد الله : الأشياء التي لم تكن موجودة قبل مئة سنة ، أفلا تحتاج في وجودها إلىٰ علّة توجدها ؟ !

رمزي : أجل .. لا شكّ في أنّ الموجود الحادث بعد عدمه محتاج إلىٰ علّة موجدة له ؛ فإنّ الموجود الحادث لا يُمكن ولا يُتصوَّر أن يوجَد بلا علّة توجده ؛ وإنّ جميع الموجودات العالمية جارية علىٰ هذا المجرىٰ .

وهذا الأمر بديهي وفطري ، يجري علىٰ فطريّته حتّىٰ الأطفال الرضّع والحيوانات .. ترىٰ الطفل الرضيع والحيوان إذا سمع صوتاً أو جَلَبة فإنّه يعلم أنّه له علّة أوجدته ؛ ومن أجل ذلك يصير يتجسّس عن العلّة لكي يعرف ما هي ! فيستنتج نتيجته في رجائه وخوفه ومستقبله .. هذا أمر بديهي ليس لأحد فيه كلام .

عبد الله : إذاً فالعلّة والمُوجِد ـ الذي أوجدني وأوجدك وأوجد كلَّ إنسان وحيوان ونبات ، وجميع العالم العلوي والسفلي ـ هذا هو : الإلٰه ربّ العالمين ، ومِن أسمائه المقدّسة : « **الله** » .

إذاً فأنا وأنت ، وكلّ إنسان ، وحياةُ كلِّ حيّ وبقاؤه ، ولوازم المعيشة ، وأنواع الفوائد والمنافع ؛ هذه كلّها من نعمة هذا الإلٰه الخالق ؛ فكلّ إنسان هو : « **عبد الله** » .. ولأجل شكر النعمة

والاعتراف بالحقيقة سمّاني أبواي «عبد الله».

رمزي: من أين علمتَ أنّ علّة الإيجاد وموجِد العالَم أوجدَ الكائنات بإرادةٍ وعلمٍ وحكمةٍ لكي يكون خالقاً منعماً ؟!

ولعلّ علّة الإيجاد تُعلَّل بالتعليل الطبيعي بلا إرادة، ولا شعور بالغاية، ولا علم، ولا حكمة.. وفي هذه الصورة لا يكون في البين إنعامٌ، ولا خالقٌ بإرادة، ولا منعمٌ!!

عبد الله: إنّي قد قلت ما قلته عن علم وحجّة واضحة؛ فاصغِ إليَّ بسمعك، وتوجّه إليَّ بشعورك وقلبك، لكي أُنبّهك علىٰ حجّتي في ما قلته لك، فإنّ ما أقوله واضح جليّ لا يحتاج إلىٰ تعمّق في الحجّة وإتعاب للفكر.

نعم، لا ينبغي للإنسان ها هنا أن يعشو عشوة الخفّاش في ضياء الشمس، ولا يطفر بعناده طفرات عديمي الشرف بالجحود الأعمىٰ.

رمزي: لا تتعب نفسك.. فإنّه يقال: لا علّة لوجود العالَم إلّا الطبيعة العمياء البكماء عديمة الشعور والإرادة، ولا تعليل إلّا بالتعليل الطبيعي.. فأين الخالقية بالإرادة؟! وأين الخالق؟! وأين الإنعام والمنعِم؟!

أفلا ينبغي الأسف علىٰ إنسان عاقل إذ يجعل نفسه باختياره ـ من دون وجه ولا داع ـ في أسر العبودية لهذه الطبيعة

العمياء فاقدة الشعور ؟!

عبد الله : دع عنك يا رمزي هذه الشفقة التافهة السخيفة .. فإنّه ليس في حجّتي تعب ، وليس عليَّ في احتجاجي للحقيقة كلفة ، ولا في إقامة أدلّتي مشقّة ، بل إنّ البيان ـ الذي هو من فرائض الحقيقة وواجبات الإرشاد ـ يلزم أن يقال لكي تتنوّر به الأفكار ويُهتدىٰ به في سبيل الصواب ؛ وليَ الشرف والابتهاج في ذلك .

رمزي : قل ما عندك .. وأنا أيضاً أقول ما عندي .. فإنّ حقّ الكلام ليس لك وحدك !

عبد الله : نعم ، إنّ حسن التفاهم ورفع معاثر الشبهات يقتضيان أن أقول ما عندي وتقول ما عندك ؛ لكي يصفو جوّ الحقيقة من غبار الشبهات وأوهام الشكوك ..

ولكن يا صاحبي ! إنّك تعلم أنّ الإنسان معرّض للأمراض الدماغية ، من أنواع الماليخوليا ونحوها من فنون الجنون ، ومعرّض لاغتشاش الحواسّ والشعور ..

وأيضاً : ربّما يكون الإنسان لا يريد أن يتكلّم مع صاحبه بالكلام الجدّي لقصد الإفهام والتفهيم ، بل يريد أن يضيّع الوقت ويضطهد الإنسانية بالكلام الاستهزائي الفارغ ، فيسرد الألفاظ الكثيرة بدون معنىً مقصود .

ومع هذه الأحوال، من أين وبأيّ وجه وميزان أعلم أنّك تتكلّم معي عن عقل وشعور، وإرادة وآختيار، وجدٍّ وقصدٍ للتفهيم ؟ !

وأنت أيضاً، من أين تعلم أنّ كلامي معك علىٰ هذا النهج ؟ ! لكي يتبادل التفاهم بيننا ولا يذهب الوقت والحقيقة علينا ضياعاً . .

أفلا يلزم في مقام الاحتجاج والمكالمة أن يكون كلٌّ من المتكالمَين يعلم أنّ صاحبه تكلّم عن شعور وإرادة وجدٍّ في قصد التفهيم ؟ !

رمزي : نعم، يلزم ذلك .

عبد الله : إذاً أفلا يلزم أن نعرف الميزان الذي يبيّن لنا أنّ هذه الأعمال والأقوال صادرة عن إرادة وشعور وعقل وجدٍّ وحكمة وقصد للغاية، ويميّزها من الأعمال والأقوال اللاغية الفاقدة لهذه المزايا، والصادرة لا عن إرادة ولا شعور ولا حكمة ولا جدٍّ ؟ !

لكي نميّز بهذا الميزان كلامنا الذي يدور بيننا، فنسير في سبيل التفاهم وطلب الحقيقة علىٰ نهج مستقيم وأُصول ممهَّدة .

وإن لم يكن بيدنا هذا الميزان في مكالمتنا، فمن أين نميّز

وجوه الكلام فيها ؟ !

أم هل يصحّ للعاقل أن يضيّع وقته بلا استناد إلىٰ دلالة ميزان مميّز يحصل بتمييزه نتيجة ، ويعتصم به عن الاشتباه ؟ !

رمزي : يا للعجب من هذا الكلام !! ألا ترىٰ كلّ أفراد البشر ، من الكبير إلىٰ الطفل ـ دائماً ـ يسمع بعضهم كلام بعض ، ويرىٰ بعضهم أعمال بعض ، فيتيقّنون بدون شكّ وشبهة بأنّ ذلك الكلام وتلك الأعمال صادرة عن شعور وإرادة لأجل الوصول بها إلىٰ غاية وغرض مقصود علىٰ الحكمة ؟ !

ترىٰ الخيّاط بيده المقراض ، وبيده الأُخرىٰ قطعة ثمينة من الحرير المزركش ، أو الشال الكشميري الفاخر ، أو نحو ذلك من المنسوجات الثمينة ، وهو يقطعها بمقراضه قطعاً ، صغاراً وكباراً ، بقرض مستقيم ومعوَجّ ومُوَرَّب[1] . .

ترىٰ البنّائين مشغولين بالجصّ أو الطين والحجارة ونقل التراب ، ويتحمّلون في ذلك التعب في الحرّ والبرد ، وترىٰ النتيجة أن يجعلوا حجارة علىٰ حجارة ، ونحو ذلك . .

وترىٰ عَمَلة الخطّ الحديدي ، جماعة يحملون التراب من مكان ويلقونه في مكان آخر ، وجماعة يحفرون في الأرض

---

(١) المورّب : هو ما قُصّ من القماش زيادة عن الحاجة ممّا لا فائدة منه ؛ أنظر : تاج العروس ٢ / ٤٦٧ مادّة « ورب » .

ويلقون التراب في مكان بعيد، وجماعة يعانون المشقّات والأخطار في ثقب الجبال..

وترىٰ في حرّ الصيف جماعة في مقابل النار الملتهبة، بأيديهم المطارق الثقيلة، يضربون دائماً علىٰ حديدة محماة علىٰ السندان والعرق يسيل من أطرافهم..

وجماعة يأخذون قطعة من ذهب، ويعالجونها بالنار والمطرقة وبعض الآلات، فيجعلونها بعد العناء صفيحة أو خيطاً طويلاً، وبعد هذا يأخذون المقراض فيجعلونها قطعاً صغاراً..

يتكلّم الناس معك في المعاملات وغيرها، وتستمع إلىٰ خطبة فلان ودرس فلان..

مع إنّك في جميع هذه الموارد تتيقّن بلا شبهة ولا شكّ بأنّ جميع ما ذكرناه من الأعمال والأقوال صادرة من فاعلها عن عقل وشعور وحكمة وقصد للغاية، وليست من حركة قهرية طبيعية ولا اختلال شعور..

لستَ وحدك تتيقّن بذلك، بل كلّ بشر له تمييز، حتّىٰ الطفل بالنسبة لكلام مربّيه ومدرّسه وغيرهم؛ وكذا بالنسبة إلىٰ أفعالهم.

يا صاحبي! فكيف تقول لي: «من أين أعلم أنّك تتكلّم عن شعور وآختيار وجدٍ وقصدٍ للغاية»؟!

يا صاحبي! هل أنت إلىٰ هذا الحدّ قليل الفهم؟! أو أنّك لم ترَ الدنيا وأهلها، ولم تَتَرَبَّ في عالم البشر؟!

عبدالله: لا أُنكر حصول اليقين في هذه الموارد وأمثالها.. ولكنّ كلامي وسؤالي كان عن منشأ اليقين وميزانه؛ وإنّي الآن ـ أيضاً ـ أسأل هذا السؤال حتّىٰ في هذه التي ذكرتها أنتَ، فإنّ كلّ هؤلاء الّذين ذكرتهم إذا عملوا أعمالاً لا عن شعور وقصدٍ للغاية فإنّا نعرف أنّها لا عن شعور ولا قصدٍ للغاية، وإن كانت من نحو الأعمال التي تذكرها، وكذا في بعض كلامهم..

فبأيّ وجه، وبأيّ ميزان ميّزنا بين أعمالهم وكلامهم، وجعلنا بعضها عن شعور وقصد للغاية وبعضها ليس كذلك؟!

هؤلاء المجانين، نرىٰ جملة من أفعالهم وكلامهم فنتيقّن أنّها لا عن شعور ولا قصد للغاية، ونرىٰ بعض أفعالهم وكلامهم فنتيقّن أنّه عن شعور وقصد للغاية، ونعاملهم علىٰ ذلك..

فبأيّ ميزان ميّزنا بين القسمين من أقوالهم وأفعالهم؟

وإنّا نجد أيضاً أنّ كلام الأطفال وأعمالهم مشتملاً علىٰ القسمين يقيناً، ونميّز باليقين بين ما يصدر منهم عن شعور وقصد للغاية وبين غيره؛ فهل كان تمييزنا اليقيني بين ذلك تشهّياً جزافياً، أو هو جارٍ علىٰ ميزان معقول يجري عليه العقلاء في تمييزهم؟!

إذاً فما هو الميزان في جميع الأُمور المذكورة لكي نزن به الأعمال والأقوال والآثار في جميع الأُمور ، وفي ما عزمنا عليه من الاحتجاج ؟ !

رمزي : يرىٰ الناس في الحصىٰ وصخور البرّ صخوراً كثيرة علىٰ أشكال هندسية موزونة ، كالكروي ، والعدسي ، والمثلّث بأقسامه ، والمربّع ، والمخروطي ، وغير ذلك ؛ وكلّهم يعلمون أنّ تلك الأشكال لم تكن بصناعة بشر ، بل حدثت بتكوين الحجر وناموس الاستحجار .

ومع ذلك ، لمّا رأوا في الحفريات تحت الأرض أحجاراً لها أشكال خاصة ، كالمنشار ، والفأس ، والسكّين ، والخنجر ، وسنان الرمح ، ونصل السهم ؛ تيقّنوا بلا ريب بأنّ هذه أدوات ليست من ناموس الاستحجار ، بل هي صناعة إنسان له شعور وحكمة ، صنعها لأجل غاياتها التي يتصوّرها ، مع أنّ الناس لم يروا صانعها حين صنعها ، ولا أخبرهم بذلك أحد عنه ، مع أنّ ناموس الاستحجار لا قصور فيه عن إحداث مثل هذه الأشكال .

ترىٰ علماء الغرب والشرق وجميع الناس يتيقّنون بلا شكّ بأنّ هذه أدوات صنعها الإنسان لحكمةِ غاياتها منذ عصر قديم ، وسمّوا ذلك العصر بالعصر الحجري والصواني .

وأيضاً : وجدوا في حفريات مصر وسويسرا تحت الأرض

صخوراً متعدّدة بصور أغنام ودجاج وديكة وحمام، وغير ذلك من صور الحيوانات الأهلية ولم يقل أحد ـ حتّىٰ من القائلين بالانتخاب الطبيعي ـ: إنّ هذه الأشكال من عمل الطبيعة وناموس الاستحجار.

بل لم يختلج الريب في أنّها صنعة أُستاذ ماهر متمدّن، صنعها عن شعور وعِلم وقصد للغاية.

عبد الله: يا صاحبي! لا تتكلّم بانزعاج وحدّة، ولا تكثر بالأمثلة، فإنّي أسألك أيضاً أنّ علماء الغرب والشرق بأيّ ميزان حكموا في هذه الصخور المذكورة بأنّها من صناعة إنسان أُستاذ ماهر ذي شعور وتصوّرٍ للغاية، وقد صنعها لأجل غاياتها؟!

فإنّي لا أُنكر اليقين في هذه الموارد، ولكنّي في الجميع أسأل عن سبب اليقين وميزانه!

فقل ما هو السبب والميزان عند العقلاء لهذا اليقين؟!

هل يتيقّن العقلاء بلا سبب وبلا وجه وبلا ميزان عقلائي يجرون عليه في علومهم ويقينهم؟!

هل يكون ذلك عند العقلاء؟!

رمزي: عجباً منك يا صاحبي! وعجباً من ابتلائي بك!.. إذا رأيتَ في بريّة بعيدة عن المسكون صخرةً عظيمةً جدّاً ذات شكل مخصوص، محيطها بشكل سور عالٍ متقنٍ مستقيمٍ

متساوي الانتظام ، فيه أبواب ذات مصاريع وأغلاق متقنة ، وكلّها صخرية . .

وفي الوسط إيوانات[١] منتظمة ظريفة الوضع ، وغرف منتظمة ذات أبواب وشبابيك متناسبة ، وكلّها صخرية . .

وحياض مع فوّاراتها من صخر . .

وآبار وبالوعات ، وحِباب للماء وأغطيتها ، ومواضع للطبخ مع مواقدها ، ومنافذ دخانها إلىٰ فوق ، وسراديب وجاذبات للهواء إليها ، منتظمة وموجّهة إلىٰ جميع مهابّ الرياح ، ودعائم ، وسلالم ، وسطوح ممهَّدة وستائر لها وميازيب ، وفي الغرف والأواوين والسراديب والسطوح كراسٍ وعروش منتظمة ظريفة الشكل والترتيب ، ومخازن تناسب الحاجة . .

وكلّ هذه من صخر علىٰ أظرف شكل وأتقنه وأوفقه بالنفع .

ثمّ سرتَ في تلك البرّيّة فوجدت صخوراً كباراً كثيرة ، جارية علىٰ ما وصفناه من النظام والصفة والوضع والظرافة . .

فهل يختلج في بال أحد من الناس أنّ هذا كلّه من صدفة

---

(١) إيوانات وأواوين ، جمع إيوان ـ بكسر الهمزة ـ : وهو الصُفَّة العظيمة كالأَزَج ـ وهو البيت الذي يبنىٰ طولاً غير مسدود الوجه ـ .
انظر : الصحاح ٥/٢٠٧٦ ، لسان العرب ١ /٢٧٣ و ١٣٠ ، تاج العروس ١٨ / ٤٠ و ج ٣ / ٢٨٧ ، مادّتي « أَوَنَ » و « أَزَجَ » .

الطبيعة العمياء وناموس الاستحجار ؟!

أو أنّ كلّ عاقل يرىٰ ذلك أو يسمع به يتيقّن بأنّه من صناعة أُستاذ ماهر حكيم، قد نحت كلّ الذي ذكرنا بالإرادة والنظر إلىٰ الغايات، وكلّ أحد يقول في شأنه: ما أحسن صناعته وقدرته وحكمته! ومن بني أيّ عصر هذا الأُستاذ ؟! فإنّه لا يوجد في عصرنا مثله أُستاذ ماهر قادر حكيم متمدّن!

عبد الله: نعم، كلّ عاقل يتيقّن بذلك، وما أنا بمنكر لليقين في ما تذكره وأمثاله، ولكنّي أسأل عن سبب اليقين وميزانه ؟ وأسألك أيضاً عن ميزان اليقين مهما كرّرت بالأمثلة!

رمزي: إنّ الإنسان الموقّر الموزون ـ في الظاهر ـ إذا تكلّم بكلام، أو عمل عملاً، فإنّه لا يحمله الناس علىٰ السُكر وآختلال الشعور، أو الهذيان، أو المسخرة والعبث؛ بل يحمل بظاهره علىٰ السلامة والصحّة، وأنّ كلامه صدر عن شعورٍ وقصدٍ للغاية..

هل أنت غير مُتربٍ في الناس لكي تعرف الحال ؟!

وهل بعد هذا البيان تسأل عن سبب اليقين وميزانه ؟!

عبد الله: يا صاحبي لا تنزعج! فإنّه لا يخفىٰ أنّ ظاهرَ الحالِ ظاهرُ الصحّةِ والسلامة.. الوقار.. أتمنّىٰ صحّته وسلامته.. أُعيذه من المرض وآختلال الشعور.. حاشاه من

السخرية والاستهزاء.. هذه كلّها لا توجب اليقين الذي نتكلّم فيه، وإنّما توجب شيئاً من الظنّ المبنيّ علىٰ الظاهر، وإنّي أسألك عن السبب الذي يوجب اليقين والميزان المميّز.

وأيضاً: فإنّ المجانين الّذين يكثر منهم الهذيان والكلام، الذي لا يصدر عن قصدٍ لغاية، نجد أنّهم ـ في أثناء ذلك ـ يتكلّمون بكلام يتيقّن سامعوه ـ حتّىٰ الأطفال ـ بأنّهم تكلّموا به لغرض معقول وقصدٍ للغاية.

وقد يتكلّم العاقل، الموقّر الموزون، الصحيح في الظاهر، فيحصل اليقين ـ حتّىٰ للأطفال ـ بأنّه تكلّم عن اختلال شعور بهذيان فارغ لم يقصد به غاية، أو تكلّم هازلاً أو متمسخراً.

إذاً فما هو السبب لليقين في ما ذكرناه؟!

وما هو الميزان المميّز في ذلك وأشباهه؟!..

فإنّ الوقار وظاهرَ الصحّة لم ينفعاك في الميزانية كما شرحناه!

وأيضاً: فإنّ الوقار وظاهر الصحّة، هذا الوجه الذي ذكرته أنت، لا يجري أصلاً حتّىٰ في إفادة الظنّ، ولا ينفع في مثل ما ذكرته من الآلات الصوانية، والصور الصخرية، والصخور الكبار المنحوتة علىٰ شكل دار أو مدينة؛ فإنّ واحداً من الناس لم يَر لها صانعاً أصلاً، فكيف تيقّن الناس أنّها من صناعة إنسانٍ ما،

هو حكيم صنعها بإرادةٍ وقصدٍ للغاية ؟!

إذاً فأسألك عن السبب لحصول اليقين في جميع هذه الأُمور وغيرها ؟! وعن الميزان المشترك العامّ الذي نعتمد عليه في الأقوال والأفعال والموجودات ، فيفيد اليقين بأنّها من إيجاد شاعر أوجدها بعلمه وقدرته وإرادته لأجل غاياتها ؟!

فما هو السبب والميزان العامّ لليقين في الجميع ؟!

رمزي : لو أنّ الناس يرتّبون الأثر علىٰ احتمال السكر والجنون والعبث وعدم الشعور ، لاختلّ نظام المعيشة والاجتماع في العالَم ! ولكنّ الناس لأجل ضرورات تعيّشهم ونظام اجتماعهم يُضطَرّون إلىٰ عدم الاعتناء بهذه الاحتمالات ، فهل تسأل أيضاً عن سبب اليقين وميزانه ؟!

عبد الله : ضرورة التعيّش .. ضرورة الاجتماع .. الاضطراب .. هذه كلّها لا توجب اليقين ، ولا تكون سبباً له ، بل إنّما تُلجئ المضطرّ إلىٰ العمل علىٰ الظنّ والشكّ إلجاءً ..

وأيضاً : لا ربط لهذه الضرورة بحال ما وصفته أنتَ من الآلات الصوانية والصور والدور الحجرية !

فإنّه لا يُضطرّ أحد في معيشته وحياته واجتماعه إلىٰ البناء علىٰ أنّ صانعها إنسان شاعر قاصد للغاية ، لا ناموس الاستحجار !

إذاً فمن أين ، وبأيِّ ميزان حصل ذلك اليقين الذي ذكرته في أمثلتها ؟ !

وإنّي أُعيد وأُعيد عليك قولي المتقدّم ، وأسألك قائلاً : ما هو السبب والميزان لليقين المذكور في هذه الأُمور وغيرها ؟ !

رمزي : إنّ تكرار سؤالك وآضطهادك للحقيقة قد أضجرني ، مع أنّ سبب اليقين المشترك والميزان العامّ له في جميع الأُمور ظاهران متجلّيان لمن له فطرة سالمة من تلويث الهوىٰ والعصبية .

نعم ، إنّ تكرار سؤالك قد اقتضىٰ تمحيص الحقيقة وتجلّيها بمظهرها الحقيقي ووجهها الوضّاح وصراحة البيان ؛ فدع العناد جانباً .. وآصغِ إلىٰ بياني بسمعك وقلبك وصفاء فطرتك .. وحقّق ما شئت في ما أقوله ! ..

❊ ❊ ❊

الميزان العادل الحقيقي العامّ

هل ينبغي أن يخفىٰ علىٰ ذي شعور أنّ كلّ موجود يكون وضعه وأوضاع أجزائه وتركيبه وترتيبه ونظمه مرتبطة بالفوائد والمقاصد والغايات ؟

فإنّ هذا الارتباط الذي يُعرف منه يكون دليلاً علىٰ أنّ ذلك الموجود بمزاياه الخاصة هو من إيجاد عالِم بفوائده ، متصوِّرٍ لغاياته ؛ ولأجل تلك الفوائد والغايات أَوجَدَ بإرادته وقدرته ذلك الموجود .

وكلّما ازدادت المعرفة بارتباط ذلك الموجود بالغايات ـ باعتبار وضعه وأجزائه وشؤونه وشرف غاياته وفوائده ـ ازداد العِلم قوّة بأنّ صانعه عالِمٌ بفوائده ، وقد صنعه لأجلها إلىٰ أن يبلغ العِلم أعلىٰ مراتب اليقين .

ويزيد ذلك بياناً ووضوحاً إذا تعدّدت أمثال ذلك الموجود وأفراد نوعه ، وهي جارية علىٰ ذلك التركيب والترتيب ، والوضع ، والمزايا المرتبطة بالغايات علىٰ قانون واحد . .

فإنّه لو كان ما وجدوه في الحفريات من الآلات والصور

الحجرية من كلِّ نوع فرداً واحداً لَما بلغ اليقين بأنّها صنع إنسان عالِم صنعها لأجل غاياتها، كما بلغ من القوّة حينما وجدوا من كلِّ نوع أفراداً كثيرة، كلّها جارية على ما وصفناه من الارتباط بالغايات على قانون واحد.

ويزداد الحال وضوحاً وبداهة إذا تتابعت في الأزمنة أفراد النوع بالوجود تتابعاً بكثرة، وهي بأجمعها جارية على ذلك الناموس وذلك القانون في التركيب والترتيب وسائر الشؤون المرتبطة بالغايات..

فإنّه يتجلّى من ذلك بالبداهة للبصيرة والرشد نورُ الدلالة على إرادة الموجِد، وحكمته، وقصده للغاية في إيجاده..

يتجلّى ذلك بنور اليقين، ويشرق للبصيرة والشعور بأضوأ من إشراق الشمس في رابعة النهار.

عبد الله: يا رمزي! قد ذكرنا لك آنفاً في حكاية ذلك الولد الشقيّ، أنّه قد جحد طلوعَ الشمس وضوءَها مع صحّة بصره وإشراق الشمس في ضحاها؛ فهل ينفع مع جحود العناد ما يتجلّى للبصيرة بمثل إشراق الشمس؟!

رمزي: إنّا الآن نتكلّم في مقام عرفان الحقيقة بدلائلها المتجلّية، ونتّبع البيان بشرف الإنسانية وزينة الفضيلة..

وأمّا جحود العناد والأهواء، فهو داء لا دواء له.. وإذا لم

يردع عنه الشرف والحياء فهو الداء المهلك !

عبد الله : إذاً فاثبت على هذا المبدأ الصالح ، وعُـدْ إلىٰ بيانك يا رمزي .

رمزي : أُكرّر البيان وأقول : كلّما ازداد ارتباط الموجود بالغايات ظهوراً ووضوحاً بحسب تركيبه ووضعه وأجزائه وشؤونه وكثرة أفراده وتكرّر مواليد نوعه ، فإنّ دلالته علىٰ عِلم الموجِد وحكمته في إرادته وقصده للغاية تزداد أيضاً وضوحاً وبداهةً إلىٰ أن تصل إلىٰ حدٍّ لا يختلج فيه الشكّ .

وأمّا الجحود العنادي ، فإنّه يفضح صاحبه ويبيّن أنّه عديم الشرف والحياء ، وإنْ كثر أصحابه والمحبّذون لعناده وضلاله .

وإن اختلج في ذهنك الشكّ في ما ذكرته لك ، فإنّي أُعزّز البيانَ بذِكر بعض الأمثلة :

* إذا رأيتَ قطعتين من الحديد متّصلتين بنحو الذكر والأُنثىٰ (نرمادة) بمحور مناسب يدوران عليه علىٰ وفق الغرض والحاجة في الاستعمال ، مثقوبتين بثقوب مناسبة منتظمة تناسب وضع المسامير أو البراغي فيها حسب الحاجة ، فإنّك لا تجد أحداً يشكّ في كونهما صنعَ حكيمٍ بإرادته لأجل منافعها وغاياتها .

* وإذا شاهدتَ جهازاً من آلة الرسم (الفوتوغراف)، وذلك الجهاز موضوع علىٰ محلّ مرتفع في غرفة بقدره، وهي في غاية المتانة والكفاية لحفظه ونجاح عمله، لها باب متقن ذو مصراعين، وآلة تفتح الباب عند الحاجة وتسدّه عند الاقتضاء، وتدير الجهاز إلىٰ مقابلة الشبح لكي يأخذ صورته ورسمه..

وذلك الجهاز لا يحتاج في أعماله المتكرّرة إلىٰ تغيير الزجاجة، بل فيه قوّة تزيل الصورة عنه بعد زمان يسير وتودعها في مستودع آخر لوقت الحاجة إليه..

فبحسب ارتباط هذا الجهاز ومزاياه في وضعه وأجزائه وتركيبه بالغايات والفوائد الكبيرة، يكون من الضروري أن يحصل لك اليقين من دون أدنىٰ شكّ بأنّ هذا الجهاز من صناعة عالِمٍ حكيم، صنعه بحكمته وإرادته لأجل غاياته وفوائده الكبيرة.

يحصل لك اليقين بذلك حتّىٰ لو وجدته في برٍّ لا يذكر التاريخ وجود بشر فيه.

* يا صاحبي! وإنّك ترىٰ الهاتف (التلفون) وتعرف فوائد أجزائه وحكمة تركيبه..

* وترىٰ صندوق الأصوات (الفونغراف) وتعرف فوائد أجزائه وحكمة تركيبه..

فهل يختلج في ذهنك أن لا يكون موجِدهما حكيمٌ، أوجدهما بإرادته لأجل غاياتهما التي تَصوَّرها ؟!

❊ إذا رأيتَ جهاز الكيمياويّين وآشتماله علىٰ أجزاء متعدّدة وأوضاع مختلفة، من أقسام القدور والإنبيق وآلات الحرارة، والآلات المقطِّعة والطاحنة للمعمولات التي تُلقىٰ في القدر الأوّل ليعمل عمله، ثمّ تُلقىٰ بأحسن تدبير من قدر إلىٰ قدر.. وهكذا.

وفي أثناء ذلك تعمل فيه أعمال ذلك الجهاز أعمالها، من العصر والتصفية وأنحاء التصعيد والتقطير والتحليل والعقد وآستخراج الخلاصة وغير ذلك، وكلّ واحدة من هذه النتائج يودعها ذلك الجهاز في محافظ لائقة بها، ويصرفها في محالّ الحاجة من الاستعمال.

وفي أثناء ذلك تترامىٰ آلاته بالفضول الضارّة إلىٰ أن تخرجها من معملها.

ومن أجل مشاهدة هذا الجهاز وهذه الآلات بما لَها من الأوضاع والتراكيب الفلسفية المرتبطة بالأعمال الكيماوية ونتائجها المفيدة وغاياتها الشريفة في العلم، يكون من الضروري أن تتيقّن بأنّ هذا الجهاز من صناعة عالِم حكيم، ومن نتائج الإرادة والقدرة وقصدِ الغاية.

* وأيضاً: إذا نظرتَ إلىٰ طلمبا (مضخّة) تجذب من طرف، وتعطي مجذوبها من طرف آخر إلىٰ أُنبوب كبير متدرّج في التشعّب والانقسام إلىٰ أنابيب كثيرة ـ كانقسام جذع الشجرة إلىٰ أغصان كثيرة ـ وكلّ أُنبوب له في محلّ التشعّب باب ذو مصاريع ينفتح وينسدّ بحسب الحاجة.

وما بين كلّ أُنبوبتين من الأغصان المتشعّبة أُنبوب احتياطي معترض واصل ما بين الشعبتين، لكي يوازن عملهما، ويقوم بالوظيفة إذا انسدّت إحدىٰ الشعبتين، أو طرأ عليها عيب، فيعطي ذلك الأُنبوب ما فوق السدّ أو العيب.

ومع هذه الطلمبا (المضخّة) ـ لإدامة عملها ـ طلمبا أُخرىٰ علىٰ ذلك النحو من التشعّب والأبواب والاحتياط، ولكنّها بعكس الأُولىٰ في الجذب والدفع..

فإنّها تجذب من أُنبوبها الكبير الجاذب من أغصانه وتدفع في وعاء آخر، وقد وُصِلَ ما بين هاتين المضخّتين بأنابيب ومضخّة أُخرىٰ تديم عملهما وتقوم بعمل آخر كبير الفائدة.

* وآنظر إلىٰ السيّارة (الأُتومبيل)، وتَحقّق في وضعها وأجزائها وأوضاعها العجيبة، وآرتباط تركيبها وأوضاع أجزائها بالفوائد والغايات الكبيرة المشاهدة، وقل: كيف يتجلّىٰ من ذلك

لك اليقين بحكمة صانعها وإرادته وقصده للغاية ؟ حتّىٰ لو رأيتَ السيّارة في بيداء لا يذكر التاريخ أنّها طَرَقها بشر .

ولو قال لك أحدٌ : إنّ ما ذكرناه في الأمثلة لم يصدر عن شعورٍ وإرادة وقصد للغاية ، بل صدر من صدفة الطبيعة العمياء ، لَعدَدتَ ذلك القائل يزيد علىٰ البهائم في الجهل والحمق ، أو أنّ له غرضاً لا يستحي معه من العناد ومكابرة البداهة .

لا تضجر ولا تملّ من كثرة الأمثال !

افرض أنّك ترىٰ سيّارة فيها ما ذكرناه من جهاز الرسم ، والهاتف ، وصندوق الأصوات ، والجهاز الكيمياوي ، والطلمبات ، لكي يكون جهاز الرسم مع الهاتف وصندوق الأصوات ، لأجل رؤية مدير السيّارة وسماعه . .

والجهاز الكيمياوي مع الطلمبات ، لأجل إيصال النتائج الكيمياوية إلىٰ جميع أجزاء السيّارة . .

لكي يكون بعض النتائج المذكورة بمنزلة الدهن والبانزين والماء في تحريك السيّارة .

وبعضها لإصلاح أجزاء السيّارة بجميع أنواعها من جميع ما ذكرناه فيها . . تزيل عنها الصدأ وما فسد بالاستعمال ومرور الزمان وترمي بها إلىٰ خارجها ، وتوصل إلىٰ جميع الأجزاء المذكورة ما يناسب أنواعها ، لكي ينميها ويجدّد فيها خلفاً

صالحاً يقوم مقام الفاسد الذي أُزيل عنها.. تقوم بإصلاح ذلك كلَه بأنواعه، سواءً كان الجزء من حديد أو معدن آخر أو خشب أو قماش أو صمغ مرن.

يا صاحبي! إنّ الذي يشاهد هذه الأجزاء العجيبة، وهذه التراكيب الباهرة، وهذه الأعمال المدهشة، وآرتباط الجميع ـ بالحكمة البالغة، والغايات الكبيرة ـ بهذا الارتباط الشديد الفائق، لا بُدّ من أن يغرس ذلك الارتباط في فكره حقّ اليقين بأنّ صانعها صنعها بإرادته وحكمته لأجل غاياتها.

وماذا تقول إذا رأيت أُلوفاً من السيّارات علىٰ النهج الذي ذكرناه في فرض صنعها، وعلىٰ ذلك القانون في الوضع والارتباط بالغايات والحكمة؟

يا صاحبي! بهذا السبب يحصل اليقين بشعور الموجِد أو المتكلّم وإرادته الجدّية وقصده للغاية.

وهذا هو الميزان العادل لحصول اليقين.

وهذا الميزان غير مختصّ بالأفهام العالية، بل إنّ عمل البشر من الصغير والكبير علىٰ ذلك، بل حتّىٰ الأطفال والمجانين فإنّهم أيضاً بهذا الميزان يميّزون بين الجدّ والهزل، والقصد والغفلة، من أقوال أوليائهم وأعمالهم.

فهل بعد هذا البيان وتحقيق الميزان تقول: «ما هو السبب

في حصول اليقين ؟ وما هو الميزان ؟ ومن أين أعرف أنّ كلامك عن شعورٍ وقصدٍ وجدّ ؟» ؟ ؟ !

عبدالله : يا رمزي ! هذا البيان ، وهذا الميزان ، وهذا الاحتجاج ، هل تقدر أن تطبّقه على ميزان المنطق ؟

رمزي : نعم .. لأنّا نقول : هذا الشيء ـ أو هذا الكلام ـ بوضعه وأجزائه وتركيبه ومزاياه ، مرتبط بالغايات ببداهة الشعور والحسّ .. وكلّ ما كان كذلك فبالبداهة الفِطرية يجب أن يكون موجِده عالِماً بالغايات ، قد أوجده بإرادته لأجل غاياته .

إذاً فهذا الشيء يجب أن يكون موجِده عالِماً بغاياته ، قد أوجده بإرادته لأجلها .

وهذا القياس يجري في كلّ ما ذكرناه من الأمثلة وغيرها ممّا يرتبط بالغايات ، سواءً كان كلاماً أم فعلاً أم شيئاً موجوداً كالآلات الصوانية وما ضاهاها ، خصوصاً ما كان مستعملاً في الغايات الكبيرة من بدء وجوده .

* *

الوجود على طِبق القوانين

عبد الله : يا رمزي! وهل تقدر أن تؤكّد احتجاجك هذا بوجه آخر، وتجري فيه على ميزان المنطق؟

رمزي : أجل.. كلّ واحد من هذه الأمثلة التي ذكرنا وأمثالها إذا رأيتَ لنوعه أفراداً كثيرة كلّها جارية في وجودها أو أوضاعها أو أحوالها أو أجزائها على قانون منتظم، فإنّ جريانها على القانون يدلّ على أنّ موجِدها عالِم قد طبّق شؤونها بعلمه وقدرته على القانون المعقول له.

وكذا إذا رأيتَ موجوداً واحداً جارياً في أحواله، أو أوضاعه، أو حركاته على قانون منتظم.

عبد الله : من أين هذه الدلالة؟!

رمزي : لأنّ القانون إنّما هو عنوان كلّيّ من الأُمور المعقولة التي لا يتحقّق لها وجود ولا كيان إلّا في معمل العقل، بصناعة الإدراك المحيط بتطبيقاته.

نعم، قد تُرسم الإشارة إلى ذلك القانون للدلالة عليه في سجلّات القوانين وكلّيّات العلوم؛ ولكنّ القانون نفسه لا وجود له إلّا في العقل والتعقّل!

إذاً فكلّ موجود رأيناه جارياً في نوعه أو جهة من جهاته وأحواله وأعماله علىٰ قانون منتظم ، علمنا ودلّنا ذلك علىٰ أنّ موجِدَه مدركٌ للقانون ، وبإدراكه وقدرته طبّق إيجاده وشؤونه علىٰ ذلك القانون . .

فإنّك إذا نظرتَ ـ علىٰ الأقلّ ـ من الأمثلة إلىٰ ساعة صناعية واحدة ، ورأيتَ في أيّام متعدّدة مسير عقاربها وتقسيمها للزمان جارياً علىٰ قانون سيّال منتظم ، فلا بُدّ من أنّك تعلم بالبداهة أنّ موجِدها مُدرك لقانون الحركة والتقسيم ومسير العقارب ، وبإدراكه وقدرته في إيجادها طبق أوضاعها وأوضاع عقاربها ومسيرها علىٰ ذلك القانون السيّال المنتظم .

عبد الله : وهل تقدر يا رمزي أن تزن احتجاجك هذا بميزان المنطق .

رمزي : أجل . . فإنّا نقول : هذه الأشياء جارية في أنواعها وأجزائها وأعمالها علىٰ قانون كلّيّ منتظم ؛ وذلك بالحسّ والمشاهدة وبداهة العلم ؛ وكلّ ما كان كذلك يمتنع أن يكون وجوده غير مستند إلىٰ مُدرِك للقانون ، عالِم بتطبيقاته .

وذلك لِما أوضحناه من أنّ القانون والتطبيق عليه من الأُمور المعقولة ، كما تقتضيه البداهة والالتفات إلىٰ كيان القانون وهويّته وهويّة التطبيق عليه .

إذاً . . فكلّ واحد من هذه وأمثالها يمتنع أن يكون إيجادها غير مستند إلىٰ مُدرِك للقانون والتطبيق عليه ، فلا بُـدّ مـن أن يكـون موجِـدُها عالِماً بالقـانون ، قد طـبّق وجـودها وشـؤونها ـ بإرادته ـ علىٰ ذلك القانون .

عـبـد الله : لا تـضجر إذا سـألتك مـن بـاب الـتمحيـص للحقيقة ، ولا تغضب إذا قلتُ لك : إنّ ماكينة الحـياكـة تـوجد القماش علىٰ قانون منتظم في نسجه وتطريزه ووضـعه ، وكـذا ماكينة المطبعة ، فإنّها تطبع وتوجِد مطبوعاتها علىٰ قانون منتظم ، إلىٰ غير ذلك من الماكينات . .

فهل تقول : إنّ الماكينة مدرِكة للقوانين المعقولة فأوجدت معمولاتها بالتطبيق علىٰ تلك القوانين التي تدركها هي ؟ !

رمزي : لا ينبغي أن يغيب عن الشعور أنّ الماكينة ليست هي الموجِدة للمعمولات ، بل إنّما هي آلة للإيجاد عـلىٰ طـبق القوانين . . وكلُّ ذي شعور يرىٰ تركيب أجزائها وجريان حركاتها وإعمالها علىٰ القوانين ، فإنّه لا يشكّ بأنّ وجودها مسـتند إلىٰ مدرك للقوانين وللتطبيق عليها . .

وكلّ من يرىٰ إعمالها ومعمولاتها جارية علىٰ القوانـين ، فإنّه لا يشكّ بأنّ إيجادها ووجودها وإعمالها ومعمولاتها إنّما هي من نتائج العلم بالقوانين والتطبيق عليها والقدرة علىٰ التـطبيق ،

بل والعلم بالغايات والقدرة علىٰ إيجاد ما يصلح لها..

أَوَلا تعلم ؟! أَوَلا تسمع بأنّ هذه المصنوعات في التمدّن الحديث إنّما هي من آثار العلم، ومظهر من مظاهر مجده ؟! وما ذلك إلّا لجريانها علىٰ القوانين ودلالة هذا الجريان علىٰ أنّ إيجادها إنّما هو نتيجة العلم بالقوانين والغايات.

يا صاحبي! وهل لك بعد هذا البيان وهذين الميزانين سؤال وكلام في الدلالة علىٰ شعور الموجِد أو المتكلّم وإرادته وقصده للغاية ؟!..

هذين الميزانين البديهيّين، اللذَين لا يشكّ في ميزانيّتهما وبداهتهما إلّا فاقد الشعور، ولا يجحد ذلك إلّا عديم الشرف، ساقط الإنسانية.

عبد الله: أقول لك ولأمثالك ـ مع كمال الأسف عليكم ـ: إنّ الإنسان الذي يبني في أُموره يقينه بإرادة الموجِد وعلمه وقصده للغاية علىٰ هذا الأساس، ويزنه بهذين الميزانين العادلين، ويعرف أنّهما الميزانان الفِطريّان اللذان جرىٰ علىٰ ميزانيّتهما كلُّ ذي شعور، حتّىٰ الأطفال والمجانين..

ويُمثّل لبداهة اليقين بحسب هذه الموازين بالأمثلة المتقدّمة، ويتكلّف في أمثلته بفرض سيّارة موهومة..

هذا الإنسان ـ ويا للعجب! ـ كيف يغفل أو يتغافل

ويغمض عينَي بصيرته وفطرته عن أوضح الأُمور وأجلاها فـي ذلك ؟!!

* * *

خِـلـقـة العـالَم

ودلالتها علىٰ أنّ صانعه إلٰه حكيم عليم

ألا وهي خلقة هـذا العـالَم الكـوني الكـبير ، وخـصائص موجوداته وأجزائها وأحوالها ، ومـواليـده المـتماثلة بـالناموس ، والمتّحدة في جريانها علىٰ قانون .

وكيف يُغفل أو يُتغافل عن صغير الموجودات ، وكبيرها ، وأجزائها ، وتراكيبها ، ومزاياها ، وبداهة ارتباط كلٍّ منها بأحسن الغايات علىٰ أحسن ارتباط وأوضحه ، ووضوح جـريانها عـلىٰ القوانين الفائقة البديعة بأتقن جريان باهر ؟ !

فأين مضىٰ ذانك الميزانان العادلان الفطريّان ؟ ! ماذا صنع الدهر بهما ؟ !

نـعم ، مـرض الأهـواء وأغـراض النـفوس يـبعثان فـي تسويلهما علىٰ مغالطة الفطرة والبداهة والتقهقر عنها !

يا صاحبي يا رمزي ! لا أمضي بك بعيداً فأتكلّم معك في الحكمة الباهرة والغايات الكبيرة ، والقوانين الشريفة ، في خلقة الشمس ، وشأن منطقة البروج وخصائص المدارات وفوائـدها ،

أو في خلقة القمر ومسيره، أو الأرض وما ينسب لها من الحركات، أو الجبال وخصائصها وعيونها، أو البراكين وأسبابها وغاياتها، أو البحار وتيّاراتها الحارّة والباردة ومخارجها وتوجّهاتها وأعمالها وغاياتها، أو في خلقة السحاب والمطر والنبات والأشجار، وحسن انتظام العالَم وجريانه دائماً علىٰ القوانين والغايات..

بل لنترك الكلام فعلاً في هذا كلّه، وإنْ كان العالَم - بموجوداته وأجزائه وغاياته - يهتف بذلك، فلا تتعب ذهنك بالتعرّض له..

ولكن انظر وتبصّر في خلقتك أنتَ وكلّ إنسان، وجريانها علىٰ أبدع الصنع وأتقنه وأعجبه! مرتبطة بالغايات أيَّ ارتباط! وجارية علىٰ القوانين الفائقة أيَّ جريان! لكي تسمع من لسان حالها في ذلك هتافها باسم الإلٰه الخالق العليم الحكيم..

فإنْ كانت الأهواء الوخيمة لا تهيج جحودك وفلتات العناد، فاسمع ما أقوله لك..

ألا وإنّ كلّ مثال ذكرتَه أنت للدلالة البديهية الفِطرية علىٰ شعور الموجِد وإرادته وقصده للغاية، وبنيتَه علىٰ ما ذكرته أخيراً من الأساس للسبب والميزانَين لليقين.. هذه الأمثلة كلّها - بأحسن وجه، وأحسن حكمة، وأحسن ارتباط بالغايات

الكبيرة ، وأحسن جريان علىٰ القوانين الفائقة ـ بأجمعها موجودة في بدنك وبدن كلّ إنسان . .

فهل نسيت قولك في كلّ واحد من أمثلتك أنّه كافٍ في الدلالة البديهية علىٰ إرادة الموجِد ، وحكمته ، وعلمه بالغاية ، وقصده لها في إيجاده .

إذاً فاصغِ لي ، وتمسّك بشعورك وشرف إنسانيّتك ؛ لكي أذكر لك أقلّاً أمثلتَك التي ذكرتَها أنت آنفاً . .

١ ـ القطعتان من حديد ونحوه ، الموصَلَتان بشكل أُنثىٰ وذكر (نرمادة)

فانظر إلىٰ أمثال ذلك في بدن الإنسان والحيوان بأحسن أوضاع صناعية جارية علىٰ دقّة الحكمة في المناسبات اللازمة للحركة والعضو المتحرّك .

وإنْ شئتَ أن تراها علىٰ نحو التفصيل فانظر أقلّاً إلىٰ مفاصل الذبائح وأوضاعها ، من الرقبة إلىٰ مفاصل الأكارع .

وتبصّر في رعاية المناسبات بحسب أوضاعها ، وآعجب من أسرار الحكمة والقدرة ، وأنّ النرمادة الحديدة توصل بمحور من حديد تدور عليه ، ولكن وضع هذا المحور في مفاصل الإنسان والحيوان مضرٌّ بحاله ، مانعٌ من جملة من أوضاعه وما

يراد منه ، ومخالفٌ للحكمة ورعاية الغاية ، فاقتضت الحكمة أن توصل المفاصل ونرماداتها بالرباطات التي لا يخفىٰ كثير من حكمها .

٢ ـ الدار الصخرية

ومهما بالغت في وصفها وحسن صنعتها وترتيبها ، فاعلم أنَّ أوضاع بدن الإنسان والحيوان أعجب وأجلىٰ في الدلالة علىٰ الحكمة والصناعة الباهرة ، فإنَّ كلّ ما قلته وفصّلته من أجزاء تلك الدار الصخرية هو موجود في بدن الإنسان والحيوان ، ويوجد فيه أكثر ممّا ذكرته وأكثر ، بأتقن صناعة وأظرفها وأنسبها بالحكمة !

انظر أوّلاً إلىٰ صناعة عظم الرأس ؛ تعرف أنَّ لمحلّ الدماغ أيّ صنعة عجيبة جارية علىٰ الحكمة !

وانظر إلىٰ التجويف الحجاجي ـ محلّ العينين ـ؛ واعرف ما له من حسن الصناعة المناسبة لمنفعة العينين وحكمتهما !

وانظر إلىٰ فقرات الرقبة والظهر ـ محلّ النخاع ـ؛ لكي تعرف بعض حكمتها وحسن صناعتها المناسبة لمنافع نوعها وأفرادها !

وحيث إنّ النخاع مثل سائر الأجزاء من البدن محتاج لأنْ

تصل إليه الشرايين والأوردة ، لأنْ تزوّده بالموادّ الغذائية المنمّية ، وتزيل عنه فضول التحليل ، فلأجل ذلك جعلت له حكمة الصانع ثقوباً مناسبة في بعض محافظه من فقرات الظهر ، لكي تنفذ منها الشرايين والأوردة إلىٰ النخاع العزيز ، العظيم الفوائد في الحياة .

وآنظر إلىٰ وضع الفم وأوضاع الأسنان بحسب الحاجة ، لكي تعرف مواقع الحكمة !

فإنّ جملة من الأسنان معدّة للقطع ، فجُعلت حادّة ، وجُعل تركيب الفوقانية علىٰ التحتانية علىٰ وضع المقراض ، ولأجل توجيه الضغط عند الأكل إلىٰ نقاط متعدّدة ، جُعل لها نحو اعوجاج وتدرّج في الغلظ من داخل اللثّة إلىٰ خارجها ، وذلك لئلّا يتوجّه الضغط بأجمعه إلىٰ أُصولها فتصدم مراكزها . .

وجملة منها أُعدّت للسحق والطحن ، فجُعلت عريضة متقابلة قائمة علىٰ شعبتين أو ثلاث كشعب السندان من أسفله ، وذلك لأجل تثبيتها تحت الضغط وضرب بعضها ببعض ، ولأجل توجيه الضغط ـ أيضاً ـ إلىٰ نقاط متعدّدة .

ومن حيث إنّ الفوقانية معلّقة ، جُعل لكلّ واحد منها ثلاث شُعب !

وآنظر إلىٰ الصدر والبطن والأضلاع الكبار والصغار ؛ وهذه

هي المعمل الكبير والمسكن الأنيق اللائق للقلب، والرئة، والكبد، وجذوع الشرايين والأوردة، وجهاز الهضم والتحليل، وأخذ العصارات والخلاصات والموادّ الغذائية والنتائج اللازمة الحاصلة من الطعام والشراب والتنفّس.. فكم ترىٰ في هذا المعمل البديع من مخازن أنيقة لهذه النتائج الشريفة!!

وكم ترىٰ من مساكن جميلة وغرف منظّمة ومتّكآت ليّنة علىٰ أحسن مناسبة لِما يحلّ فيها، تتّسع لأجل مناسبةِ أحواله وتضيق!..

ومن الممكن أن تطّلع علىٰ بعض ذلك وبعض حكمته.. فاحضَرِ القصّابَ عندما يشقّ بطن الذبيحة ويخرج الكرش والأمعاء والقلب، وآنظر إلىٰ هذه كيف قد هيّأتِ الحكمةُ لكلّ واحد منها محلاً مناسباً ومتّكأً ليّناً بصناعة عجيبة!

إذ قد رتّبت تلك الغرف والمتّكآت من طيّات غلاف محكم مزوّد بتليين الدسومة، والذي يكلّله شحم البطن مساعدة علىٰ أعماله، وهو الغلاف المسمّىٰ «بريتون» والمحيط بها، فكان بانعطافاته وطيّاته لكلّ واحد من هذه المذكورات بمنزلة الغرفة المجهّزة بفراش الحرير.

ولنقتصر في هذا المقام علىٰ هذا المقدار، الذي هو قليل من كثير.

وأيضاً : في بدن الإنسان والحيوان ثقوب كثيرة ، صغيرة وكبيرة ، تقوم بأعمال كبيرة ، فتكون بمنزلة منافذ الدخان ، وجاذبات الهواء ، والمنافذ لخروج القذارات ، وكلّ مخزن وعِرق له باب ظريف الوضع والمصاريع ، ينفتح وينسدّ بحسب الحاجة .

هذا ما يسعه هذا المختصر من البيان ، والزيادة موكولة إلىٰ ما دُوِّن في علم التشريح .

٣ ـ جهاز الرسم (الفوتوغراف)

يا صاحبي ! وكلّ الذي قلته فيه آنفاً وزيادة ، وزِد عليه فلسفة النظّارات المكبّرة والمقرّبة ، هو موجود في عينَي الإنسان والحيوان بأعجب ممّا ذكرته وفرضته ، وكلّه معروف في حكمة العينين والأجفان لعامة الناس .

والعين هي التي تدور في طلب الشبح ، وهي التي تنفتح أجفانها وتنطبق بحسب الحاجة ، وهي التي يزول عنها رسم الشبح ويودع في مخزن التصوّر .

ولو نظرت إلىٰ ما ذُكر في تشريح العينين وفلسفة طبقاتها ، وهي : الصلبة مع جزئها القرنية ، والمشيمة مع جزئها القزحية ، والشبكية وفلسفة رطوباتها الثلاث ـ وهي : المائية والبلّورية

والزجاجية ـ مع الأوضاع المختلفة لهذه المذكورات، وفلسفة جمع النور وتكسيره، وفلسفة العضلات والأعصاب البصرية والوريقات الغربالية والشرايين والأوردة، لرأيت من بدائع الحكمة شيئاً عجيباً مدهشاً!

مع أنّ جهاز الرسم والنظّارة المكبّرة والنظّارة المقرّبة ليس لها بدون العينين أثر، ولا كرامة!

٤ ـ الهاتف (التلفون)

٥ ـ صندوق الأصوات

وهذان ـ بأحسن ما يُتصوّر ـ موجودان في جهاز السمع والحافظة وجهاز التكلّم، ولا تحسب أنّ جهاز السمع منحصر بالدهليز الذي في الصماخ، أو أنّ جهاز التكلّم مختصٌّ باللسان!

فإنّ من جملة جهاز السمع: الطبلة، والعظيمات الثلاثة، والقنوات الهلالية، والحصىٰ الأُذنية، والقوقعة الملتفّة بلفّة ونصف وقد رُكّب في جوفها نحو أربعة آلاف سهم..

ومن جهاز التكلّم: الحنجرة ذات الوضع العجيب، الذي يشير إلىٰ مواقع الحكمة، ومنه أجزاء كثيرة، منها الغُدد والأنف، والذي ينظر في علم التشريح إلىٰ ما ذُكر في جهازَي السمع والتكلّم من الأوضاع والحِكم الباهرة، فإنّه يعود من

العجب مبهوتاً، مع أنّ التلفون وصندوق الأصوات لا أثر لهما ـ ولا كرامة ـ بدون جهاز التكلّم وجهاز السمع.

٦ ـ الجهاز الكيمياوي

وما شئت أن تقول فيه وفي بيان أجزائه وأدواته وأعماله ونتائجه فقُل، وزِد في البيان ثمّ زِد، فإنّه لا يصل إلىٰ جهاز هضم الطعام والشراب والتنفّس، وما في ذلك من الأجزاء والأوضاع والأعمال الباهرة، وآستخلاص الأنواع الكثيرة العجيبة من محلول وعصارة وخلاصة لأجل تنمية الجسد وإصلاحه في حياته.

٧ ـ الطلمبات المتعدّدة وأنابيبها المتشعّبة وعرضيّاتها الاحتياطية

وكلّ ما ذكرته فيها، وأكثر وأحسن صنعاً وإتقاناً، هو موجود في القلب والرئة والشرايين والأوردة، بل وغيرها علىٰ أحسن مثال، فإنّ القلب له تجويفان، وهما متحرّكان دائماً بالانقباض والانبساط، فيكون كلٌّ منهما بانبساطه طلمبا جذب، وبانقباضه طلمبا دفع..

وعلىٰ ذلك تجري الرئة أيضاً والشرايين النابضة دائماً،

ويتشعَّب كلٌّ من جذعَي الشرايين والأوردة إلىٰ أغصان كثيرة سائرة في جميع أجزاء البدن أحسن سير وأعمّه وأتقنه ، فيعملان أعمالهما الشريفة في الدورة الدموية وإيصال الموادّ المنمّية إلىٰ أجزاء البدن ، وفي سحب الفضول وتصفية الدم .

وللكلّ منها أبواب ومصاريع باهرة ، لظرافتها وإتقانها في عملها ، تنفتح وتنسدّ حسب الحاجة في الجذب والدفع .

وأمّا الأنابيب العرضية الاحتياطية فهي لا توجد إلّا في الإنسان والحيوان ؛ وهي ما يسمّيه المشرِّحون بالتفَمُّمات المعترضة بين أغصان الشرايين والأوردة ، أوجدتها الحكمة احتياطاً للدورة الدموية ودوام عملها إذا عرض للأغصان انسداد أو قطع !

وإن شئتَ أن ترىٰ بعض هذه التفمّمات ، فانظر إلىٰ ظاهر كفّيك ، فإنّك تراها معترضة علىٰ العصب السائب علىٰ سلاميّات السبّابة والوسطىٰ والبنصر .

وإنّ الشرايين والأوردة ليس فيها ٱلتواء ولا تعريج ، ولكنّها في مقام تلتوي وتتعرّج كما تلتوي الحيّة في مسيرها ، وذلك يكون في عروق الشفتين والرحم ، رعاية لانفتاح الفم وكبر الرحم عند الحمل ، فإنّها تتمدّد عند انفتاح الفم وعند الحمل ، وتعود إلىٰ حالها الأوّل عند انطباق الفم وصغر الرحم بالولادة .

ومشاهدة الأمر مختصّة بالمشرِّحين، ولكن تمكن مشاهدة بعضه في العروق المتعرّجة حول فم الفرس ونحوه.

٨ ـ السيّارة (الأُتومبيل)

أُذكرها تفصيلاً، وزِد عليها بذِكر ماكينة السكّة الحديدية وماكينة الخياطة والساعة وأمثالها، فهل تصل حكمتها وعجائب صنعها إلىٰ أقلّ قليل من أنحاء الحكمة الموجودة في أجزاء بدن الإنسان وتراكيبه وأعمالها؟!

٩ ـ السيّارة الفرضية الموهومة التي خيّلت أنّها تجمع هذه الأمثلة

وقد أتعبتَ فكرك في تصويرها بالوهم لكي تمجّد حكمة صانعها وإرادته وقدرته في الصناعة، وتصل إلىٰ أعلىٰ مراتب اليقين البديهي بعلمه بالغايات وقصده لها في مصنوعه، وتحتجَ علىٰ ذلك بصنعته هذه وعجائبها.

يا صاحبي! ومهما صوّرتَ في وهمك في هذه السيّارة الفرضية، وزِد عليه، وزِد عليه، فإنّه موجود في بدن الإنسان والحيوان علىٰ أتقن صناعة وأوفقها بالحكمة والعلم، مع أنّ سيّارةَ بدن الإنسان الحقيقية مِن حكمةِ صناعتها الباهرة أن يتولّد

منها سـيّارة مثلها ، وهكذا ؛ وهكذا في تناسلها .

وهذا قليل من كثير من بيان ما بـلغه العـلم مـن الحكـم الباهرة ، والصنع العجيب ، ودلائل العلم ، وقصد الغاية في خلقة الإنسان والحيوان وأبدانهما .

ولا زال علم التشريح يـوماً فـيوماً تـنكشف له مـن ذلك بواهر الحِكم والفوائد الكبيرة .

يا صاحبي يا رمزي ! إذاً فكيف لا يحصل لك اليقين بأنّ الإنسان والحيوان ـ أقلّاً ـ مخلوقان لخالق مُريد عالم حكيم ؟ !

وهل تبلغ الأمثلة التي ذكرتَها أنتَ ـ في ارتباطها بالغايات ، وجريانها علىٰ القوانين ـ ما بـلغه بـدن الإنسـان والحـيوان فـي أجزائه وتركيبه وأوضاعه ؟ !

أفـلا يكـثر العـجب مـنك ومـن أمـثالك إذ تـقولون : إنّ الاتّصال في قطعتَي الحديد (النرمادة) يـدلّ عـلىٰ أنّـهما صـنع صانع مُريد للغاية ، لتصوّره لها ؛ ومع ذلك تـقولون : إنّ خـلقة الإنسان والحيوان العجيبة ، وخلقة العالَم بأجمعه ، مع ما فيه من عـجائب الحكـم عـلىٰ النـواميس البـاهرة ، والقـوانـين العـامة المسـتمرّة ، ودلائل العلم وقصد الغاية ؛ هذه كلّها إنّما هي مـن صدفة الطبيعة العمياء عديمةِ الشعور ؟ ! !

يا للعجب ! أين الوجدان ؟ ! أين الشعور ؟ ! أين البداهة ؟ !

أين الميزانان اللذان ذكرتَهما أنت ؟! أين دليل المنطق ؟! ماذا صنع الدهر بهما ؟!

أنتَ الذي ضربت تلك الأمثلة آنفاً ، فلماذا لا تتعجّب من نفسك في هذا المقام ؟؟!!

رمزي : أمّا إذا لم تقف الشهوات أمامي ، ولم تعبث بالفكر زوابع الأهواء ، فإنّ كلّ الذي تقوله صحيح ؛ فإنّ وجود الإنسان والحيوان والموجودات العالمية بأوضاعها وأحوالها ونواميسها وقوانينها ، تدلّ بأوضح البداهة ودليل المنطق علىٰ علم صانعها وحكمته وإرادته وقصده للغايات .

ولكن لماذا تسمّون هذا الصانع : «الله» ؟! ولماذا تسمّون هذا الإيجاد خلقاً ؟!

عبدالله : مرادنا من الخلق هو الإيجاد بالإرادة ، والعلم بالغاية وقصدها .

والمراد من اسم «الله» هو مَن أوجد العالَم بإرادته وحكمته ، وعلمه بالغاية وقصدها .

يا صاحبي ! إنّك في كلامك الأخير موافق لنا في المعاني ، فهل لك عداوة مع الألفاظ ؟!

رمزي : يا عبدالله ! إنّي لا يسعني في الشعور والأدب والشرف أن أجحد ما تقوله ، ولكن اتركني لحالي ، ولحرّيّة

شهواتي ولذّاتي ، فإنّي إذا ضممتُ صوتي إلىٰ أصواتكم ، وتجاهرتُ بالاعتراف بالإلٰه وحكمته وكماله اللازم ، فإنّك حينئذ تقول لي : كذا أمر الله ، كذا نهىٰ ، إفعل كذا ، لا تفعل هكذا ، لا تشرب هذا ، أُكفف عن هذه الأهواء ، لا تَتَهَنَّ باللذّات ، هذا حرام ، هذا واجب ؛ فتجعلني أسيراً مغلولاً مكبّلاً بهذه الحكومات .

عبد الله : عجباً يا صاحبي ! إنّك في أوائل مكالمتنا قد تعجّبتَ من حالات السودان ووحشيّتهم ونشيدهم ! فلماذا أراك في كلامك هذا تختار أحوالهم ومضامين نشيدهم علىٰ نحو صارت أحوالك وأقوالك تمثّل أحوالهم ونشيدهم ؟! وتمثّل ذلك الولد الشقي الذي قال : «لا أرىٰ لي أباً ، خرجتُ من ثقب الجدار !» فهلّا تقول منيباً للصلاح ومعتبراً بقول القائل :

ولقد نَهَزْتُ[١] معَ الغُواةِ بِدَلْوِهم
وأَسَمْتُ سَرْحَ[٢] الطَرْفِ حيثُ أساموا

---

(١) نَهَزَ بالدلو في البئر : إذا ضرب بها إلىٰ الماء لتمتلئ ؛ آنظر : لسان العرب ١٤ / ٣٠٥ مادّة « نهز » .

(٢) أسمتُ السرح : إذا خلّيت الإبل ترعىٰ حيث تشاء ، والسائم والسرح : المال الراعي ؛ آنظر : لسان العرب ٦ / ٢٢٩ و ٤٤٠ مادّتي « سرح » و « سوم » .

والمراد : أنّه خلّىٰ نفسَه وهواها وملاذّها تذهب به حيث تشاء بلا وازع أو رادع .

وبَـلَغـتُ مـا بَـلَغَ آمـرُؤٌ بشـبابِـهِ
فـإذا عُـصـارةُ كـلِّ ذاكَ أثـامُ(١)

وقول القائل :

لقدْ طُفْتُ في تـلكَ المـعاهِدِ كـلِّها
ورَدَّدْتُ طَرْفي بـينَ تـلكَ المـعالِمِ
فـلمْ أرَ إلّا واضـعاً كَـفَّ حـاسرٍ
علىٰ ذَقَـنٍ أو قـارعاً سِـنَّ نـادمِ(٢)

رمزي : يا عبدالله ! اكفف الآن عن الملام وأمثال هذا الكلام ، ولا تشوّش علَيَّ حرّيّتي ، ولا تكدّر علَيَّ صفاء لذّاتي ؛ فإنّك لا تقدر ـ حالاً ـ علىٰ أن تأخذ أمام شهواتي ، وإذا كان لي مبدأ اعتقادي فإنّـه محوَّل إلىٰ ضميري .

عبدالله : يُفهم من حالك وأمثالك الشهوانية أنّك

---

(١) من قصيدة لأبي نؤاس (١٤٦ ـ ١٩٨ هـ/ ٧٦٣ ـ ٨١٤ م) ، يمدح بها الأمين العبّاسي ، من بحر الكامل ، وفيها : «اللهو» بدل «الطرف» ، ومطلعها :

يا دارُ ! ما فَعلَتْ بكِ الأيّامُ ؟ ! ضـامَتْكِ ، والأيّـامُ ليسَ تُـضامُ

آنظر : ديوان أبي نؤاس : ٥٧٥ .

(٢) من قصيدة للأبيوردي محمّد بن أحمد القرشي الأُموي ، المتوفّىٰ سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م ، وهي من بحر الطويل ، وفيها : «وسَيّرتُ» بدل «وردّدتُ» و «حَيْرَةٍ» بدل «حاسِرٍ» .

آنظر : ديوان الأبيوردي : ١٣٨ .

سُفوريّ ! فهل أنت ممّن يطالب بسفور النساء ويُجري دموعه من أجله ؟ !

رمزي : لا ، لا ، يا صاحبي ! لا يصل توبيخك لي إلىٰ هذا الحدّ ، ولا تقابل صاحبك بالشتم المقذع وسوء القول ، ولا تقل ما يمسّ بالغيرة والشرف ؛ فلماذا تطعن بغيرتي وشرفي ؟ ! وأنا من بيت شريف وأُسرة كريمة !

عبد الله : ما هذا الغيظ منك ؟ ! ويا للعجب ! ومع أنّك عبد الشهوات ولا تبالي بالتهتّك ، كيف غضبت من هذا السؤال هذا الغضب ؟ ! فقل لي ما هو السبب في غيظك بهذه الشدّة من هذا السؤال ؟ !

رمزي : وهل يخفىٰ علىٰ أحد أنّ دعوة السفور لا تنفكّ ـ علىٰ الأقلّ ـ عن ثلاث صفات ؛ إحداهنّ تُناسِب شهوانيّتي ، ودوام ٱلتذاذي بالآنسات السافرات بما يتعاطَينه من الزيّ الأنيق والطراز البهيج ، إذ يتخاصفن[1] في الشوارع

---

(١) كذا في الأصل ، ولم أجد لها معنىً مناسباً في مادّة « خصف » من المعاجم اللغوية . .

ولعلّها تصحيف : يتحاصفن ـ بالحاء المهملة لا المعجمة ـ ، وأحصف إحصافاً : إذا مَرَّ مرّاً سريعاً وأسرع في عَدْوه ؛ ٱنظر مادّة « حصف » في : الصحاح ٤ / ١٣٤٤ ، لسان العرب ٣ / ٢٠٧ . .

أو تصحيف : يتخاطفن ، أي يمررن مرّاً سريعاً ؛ ٱنظر : لسان العرب ٤ / ١٤٢ مادّة « خطف » .

كأسراب[١] الريـم[٢] الأوانس[٣]، مـزوَّدات بـلِين العَـريكة[٤]، وخفّة المداعبة، وسهولة الانقياد، يمثّلن بالترنّح ما لمحاسـنهنّ من الخَـدالة[٥] والهَـيَف[٦] والارتـجاج[٧] والمَـيْس[٨]، بـوجوه كالأقمار، وصدور كـالمرايـا، وأجـياد كأبـاريق فـضّة، وشـعور كسـبائك الذهب..

أو كـما نشـره المـتأنّـثون مـن السـفوريّين بـاسم الآنسـة «نضيرة» السفورية، في كتاب «السفور»، المطبوع في بـيروت

---

(١) أسراب، جمع سِرْب: القطيع من الظباء ومن النساء؛ آنـظر: لسـان العرب ٦/ ٢٢٥ مادّة «سرب».

(٢) الرِيم: الظَبي الأبيض الخالص البياض؛ آنظر: لسان العرب ٥/ ٣٩٥ مادّة «ريم».

(٣) جارية آنسة: إذا كانت طيّبة النفْس تُحبّ قُربَك وحديثَك، وجـمعها آنِسات وأوانِس؛ آنظر: لسان العرب ١/ ٢٣٥ مادّة «أنس».

(٤) العريكة: الطبيعة، وليّن العريكة إذا كان ليّـن الخُـلُق سـلساً مـطاوعاً مـنقاداً قـليل الخـلاف والنـفور؛ آنـظر: لسـان العـرب ٩/ ١٦٩ مـادّة «عرك».

(٥) الخَدالة من المرأة: امتلاء الساقين والذراعـين؛ آنـظر: لسـان العـرب ٤/ ٤٠ مادّة «خدل».

(٦) الهَيَف ـ بالتحريك ـ: رقّة الخصر وضمور البطن، والهِيْف ـ جـمع: أهيف وهيفاء ـ: وهو الضامر البطن؛ آنظر: لسـان العـرب ١٥/ ١٨١ مادّة «هيف».

(٧) الـرَّجُّ: التحريك، والارتجاج: مـطاوعة الرجّ؛ آنـظر: لسـان العـرب ٥/ ١٤١ ـ ١٤٢ مادّة «رجج».

(٨) الميس: التبختر؛ آنظر: لسان العرب ١٣/ ٢٣١ مادّة «ميس».

سنة ١٩٢٨، في صحيفة ٢٥٤: «وقد اطّرحنا الملاءات والخرق، وظهرن بأثواب وقلائد كأنّهنّ ملائكة من بشر، يسعين لجعل الأرض جنّات تجري من تحتها الأنهار، تشرح القلوب والصدور، وتسرّ الأرواح والأبصار»..

فأكون كما تمنّوه في صحيفة ١٧٧: «قد جعلت يدي بيد السافرة، نتبادل احترام المغازلة، فكراً وقولاً وفعلاً، سائرين في طريق الـ... بوجوه طافحة بماء الـ...»!

«فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخَبرِ»[١]، فإنّ السفور يكون شبكاً عمومياً لصيد الأوانس، لا يحتاج معه إلىٰ كلفة الفخاخ والحبائل الخصوصية، ولا أخاف فيه رقيباً ولا غيرة، غير أنْ «خلا لكِ الجوّ فبيضي واَصفري»[٢].

عبد الله: إذا كان هذا الحال يروق لك، وتحبّذه

---

(١) عجز بيت صدره: «فكان ما كان ممّا لستُ أذكرُهُ» والبيت لابن المعتزّ (٢٤٩ ـ ٢٩٦ هـ/ ٨٦١ ـ ٩٠٨ م)، من قصيدة في الغزل، من بحر البسيط، مطلعها:

سقىٰ المَطيرةَ ذاتَ الظلِّ والشجرِ　　وديرَ عبدونَ هطّالٌ منَ المطرِ

اَنظر: ديوان ابن المعتزّ: ٢١٩.

(٢) عجز بيت صدره: «يا لكِ من قُبَّرَةٍ بمَعْمَرِ» والبيت لطرفة بن العبد (٨٦ ـ ٦٠ ق. هـ/ ٥٣٨ ـ ٥٦٤ م)، من قصيدة، من بحر الرجز، قالها لمّا نصب فخّاً للقنابر فلم يصد شيئاً، فلمّا ارتحل رأىٰ القنابر تلتقط ما نثر لها من حَبٍّ.

اَنظر: ديوان طرفة بن العبد: ٤٦.

شهوانيّتك ، فلماذا انزعجتَ من سؤالي إلىٰ ذلك الانزعاج ؟ !

رمزي : انزعجت من أجل ما يلزم لطلب السفور من الصفات الأُخر الذميمة !

ولأجل نفرتي منها ومخالفتها للغيرة وٱنزعاجي من سؤالك ، اقطع الكلام حالاً علىٰ هذا المقدار ، ولعلّما يسكن غيظي فتسنح الفرصة للكلام في بيان تلك الصفات الذميمة ، وفي مفاسد السفور فلسفياً وٱجتماعياً وٱقتصادياً ودينياً وإنسانيةً .

فإنّي أعلم أنّك تطيل معي الكلام لكي تستخرج ما في ضميري ، وتمحّص الحقيقة ، فأمهِلني في ذلك .

عبد الله : وهل تسمح نفسك بأن نتكلّم في المهمّات من التعاليم الأساسية الحقيقية في سعادة الإنسان ومدنيّته الصالحة وكماله وحسن أخلاقه وكرامة مستقبله ؟ !

رمزي : إنّك تريد الكلام في الدين والشريعة والرسالة لكي تستعين باعترافي بذلك علىٰ أن تحبسني عن شهواتي وملاذّي !

ولكن لا منافاة ؛ أُساعدك علىٰ الكلام والنظر الصحيح ، وأمّا الانقياد إلىٰ تعاليمك وحبسك لي فذلك إلىٰ رأيي ، فإنّ للعمل مقاماً ، وللعرفان والاعتراف بالحقيقة شرفاً وكرامة . .

فأمهِلني.. وما هو الذي يدعوك إلىٰ الاستعجال؟! وما هذه الحرارة؟!

عبد الله :

هانَ علىٰ الواجِدِ طَعمُ الكَرىٰ إنّ الفتىٰ الساهِرَ ما غَمَّضا[1]

* * *

والله المستعان وهو حسبي
وله الحمد أوّلاً وآخراً .

* * *

تمّت

* * *

---

(١) من قصيدة للشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ/ ٩٦٩ ـ ١٠١٥ م)، يمدح بها الملك بهاء الدولة ويعتذر إليه ممّا اتّفق في أمره في أوّل يوم من جمادىٰ الأُولىٰ سنة ٣٩٧، مطلعها :

كيف أضاءَ البرقُ إذ أومَضا منابِتَ الرِّمْثِ بوادي الغَضا

انظر : ديوان الشريف الرضي ١/ ٥٧٤ .

مصادر التوثيق والتعضيد

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أعيان الشيعة ، للسيّد محسن الأمين ، تحقيق حسن الأمين ، نشر دار التعارف ، بيروت ١٤٠٦ .

٣ ـ تاج العروس ، لمحمّد بن محمّد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي / ت ١٢٠٥ ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٤ ـ ديوان الأبيوردي ،

٥ ـ ديوان الشريف الرضي ، تصحيح وتقديم د. إحسان عبّاس ، نشر دار صادر ، بيروت ١٩٩٤ .

٦ ـ ديوان طرفة بن العبد ،

٧ ـ ديوان ابن المعتزّ ، شرح وتقديم ميشيل نعمان ، نشر الشركة اللبنانية للكتاب ، توزيع دار صعب ، بيروت ١٩٦٩ .

٨ ـ ديوان أبي نؤاس ،

٩ ـ الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة ، لآقا بزرگ الطهراني / ت ١٣٨٩ ، نشر مطبعة الغريّ ، النجف الأشرف ١٣٥٧ .

١٠ ـ الردّ علىٰ الوهّابية ، لمحمّد جواد البلاغي / ت ١٣٥٢ ، تحقيق محمّد علي الحكيم ، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ١٤١٩ .

١١ ـ رسالة القرآن ، مجلّة فصلية تصدرها دار القرآن الكريم ، قم .

١٢ ـ ريحانة الأدب ، لمحمّد علي التبريزي المدرّس ،

چاپخانهٔ شركت سهامي طبع كتاب ، إيران ١٣٣٥ هـ. ش .

١٣ ـ **شعراء الغريّ (النجفيات)** ، لعلي الخاقاني ، نشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي المرعشي ، قم ١٤٠٨ .

١٤ ـ **الصحاح** ، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري / ت ٣٩٣ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٤٠٤ .

١٥ ـ **الكنىٰ والألقاب** ، لعبّاس بن محمّد رضا القمّي / ت ١٣٥٩ ، تحقيق محمّد هادي الأميني ، نشر مكتبة الصدر ، طهران ١٤٠٩ .

١٦ ـ **لسان العرب** ، لابن منظور محمّد بن مكرم / ت ٧١١ ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨ .

١٧ ـ **ماضي النجف وحاضرها** ، لجعفر باقر آل محبوبة ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٦ .

١٨ ـ **معارف الرجال** ، لمحمّد حرز الدين ، نشر مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي ، قم ١٤٠٥ .

١٩ ـ **نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة)** ، لآقا بزرك الطهراني / ت ١٣٨٩ ، نشر دار المرتضىٰ ، مشهد ١٤٠٤ .

٢٠ ـ **نصائح الهدىٰ** ، لمحمّد جواد البلاغي / ت ١٣٥٢ ، إعداد محمّد علي الحكيم ، معدّ للنشر .

٢١ ـ **الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ** ، لمحمّد جواد البلاغي / ت ١٣٥٢ ، نشر دار الكتب الإسلامية ، قم .

❊ ❊ ❊

المحتويات

فهرس الأعمال المطبوعة للمصحّح

* في مجال التحقيق *

١ ـ نفحات الإعجاز في ردّ الكتاب المسمّىٰ «حُسن الإيجاز»، للسيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣).

طُبع أوّل مرّة في قم سنة ١٤٠٩.

أعادت دار المؤرّخ العربي طبعه، في بيروت سنة ١٤١١.

٢ ـ البَداء في التكوين، للسيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣).

صدر في قم سنة ١٤١٤، منضمّاً مع «مسألة في البَداء» للشيخ البلاغي، ضمن كتيّب «رسالتان في البَداء».

٣ ـ المقنع في الغَيبة، والزيادة المكمّلة له، للشريف المرتضىٰ علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦).

طُبع أوّلاً في قم وبيروت، في مجلّة «تراثنا»، العدد ٢٧، السنة ٧، ربيع الآخر ١٤١٢.

ثمّ صدر مستقلّاً في كلٍّ من قم وبيروت عن مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، سنتَي ١٤١٦ و ١٤١٩، ضمن سلسلة «ذخائر تراثنا»، برقم ٤.

٤ ـ التوحيد والتثليث، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢).

صدر في قم سنة ١٤١١ عن مؤسّسة قائم آل محمّد عليه السلام.

أعادت طبعه دار المؤرّخ العربي، في بيروت سنة ١٤١٢.

٥ ـ أعاجيب الأكاذيب، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢).

صدر في قم سنة ١٤١٢ عن دار الإمام السجّاد عليه السلام.

أعادت طبعه دار المرتضىٰ، في بيروت سنة ١٤١٣.

٦ ـ الردّ علىٰ الوهّابية، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢).

طُبع أوّلاً في قم وبيروت، في مجلّة «تراثنا»، العدد المزدوج ٣٥ ـ

٣٦ ، السنة ٩ ، شهر رمضان ١٤١٤ .

ثمّ صدر مستقلاً في كلٍّ من قم وبيروت عن مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، سنتَي ١٤١٦ و ١٤١٩ ، برقم ٦ .

وصدر عن مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، ضمن كتاب «أربع رسائل» ، في بيروت سنة ١٤٢٦ .

وأعاد مكتب الإعلام الإسلامي طبعه ضمن «موسوعة العلاّمة البلاغي» ، في قم سنة ١٤٢٨ .

وأُعيد طبعه بعنوان : «الوهّابية وأُصول الاعتقاد» ضمن سلسلة «علىٰ مائدة الكتاب والسُنّة» ، برقم ١٧ ، وصدر خليّاً من اسم الناشر ومكان الطبع وزمانه !

٧ ـ **مسألة في البَداء** ، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢) .

صدرت في قم سنة ١٤١٤ ، منضمّة مع «البَداء في التكوين» للسيّد الخوئي ، ضمن كتيّب «رسالتان في البَداء» .

وصدر عن مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، ضمن كتاب «أربع رسائل» ، في بيروت سنة ١٤٢٦ .

٨ ـ **نسمات الهدىٰ ونفحات المهدي** ، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢) .

طُبع في قم وبيروت ، في مجلّة «تراثنا» ، العدد ٦٥ ، السنة ١٧ ، شهر المحرّم ١٤٢٢ .

وطُبع مستقلاً سنة ١٤٢٤ ، وصدر خليّاً من اسم الناشر ومكان الطبع !

وصدر عن مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ، ضمن كتاب «أربع رسائل» ، في بيروت سنة ١٤٢٦ .

وأعاد مكتب الإعلام الإسلامي طبعه ضمن «موسوعة العلاّمة البلاغي» ، في قم سنة ١٤٢٨ .

٩ ـ نصائح الهدىٰ والدين، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢).

صدر في قم سنة ١٤٢٣ عن إنتشارات دليل ما.

وصدر ـ كذلك ـ في بيروت سنة ١٤٢٤ عن دار المحجّة البيضاء.

وأُعيد طبعه ضمن «موسوعة العلّامة البلاغي»، من قبل مكتب الإعلام الإسلامي، في قم سنة ١٤٢٨.

١٠ ـ البلاغ المبين، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢).

هو هذا الذي بين يدي القارئ الكريم بطبعته الأخيرة.

صدر أوّلاً عن مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ضمن كتاب «أربع رسائل»، في بيروت سنة ١٤٢٦.

وأعاد مكتب الإعلام الإسلامي طبعه ضمن «موسوعة العلّامة البلاغي»، في قم سنة ١٤٢٨.

١١ ـ عِقدٍ في إلزام غير الإمامي بأحكام نِحْلَتِه، للشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢).

طُبع أوّلاً في قم وبيروت، في مجلّة «تراثنا»، العدد المزدوج ٨١ ـ ٨٢، السنة ٢١، شهر المحرّم ١٤٢٦.

ثمّ صدر مستقلّاً في بيروت سنة ١٤٢٨، عن دار المحجّة البيضاء.

❊ في مجال التأليف ❊

■ **معجم ما أُلّف ردّاً علىٰ اليهود والنصارىٰ.**

اشتمل علىٰ أكثر من ٧٠٠ كتاب أو رسالة.

طُبع ملحقاً بكتاب «التوحيد والتثليث» المارّ آنفاً برقم ٤، في طبعته الصادرة في قم سنة ١٤١١.

حُذف من طبعة الكتاب الصادرة في بيروت سنة ١٤١٢!!

❊ ❊